تفسير

سورة القلم

بسم الله الرحمن الرحيم

١. ﴿ نٓ ﴾ اختلفوا في تفسيره . فروي عن ابن عباس بطرق أن المراد به الحوت الذي على ظهره الأرض ، وأنه من أول ما خلق الله تعالى فكبس الأرض على ظهره ؛ وهو رواية أبي الضحى ، وأبي ظبيان ، والكلبي ، وأبي صالح عن ابن عباس[١] . وقول مجاهد ومقاتل والسدي[٢] ، قالوا : «هو الحوت الذي يحمل الأرض وهو في بحر تحت الأرض السفلى»[٣] .

والنون في اللغة السمكة[٤] . ومنه قوله تعالى في ذكر يونس عليه السلام : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ ﴾ ، وقد مر[٥] .

---

(١) أخرجه ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ ، والحاكم ، وصححه ، والضياء في المختارة وغيرهم . انظر : تنوير المقباس ٣/ ١١٦ ، وجامع البيان ٢٩/ ٩ ، والمستدرك ٢/ ٤٩٨ ، والعظمة ٤/ ١٤٠٣ ، وتفسير الماوردي ٤/ ٢٧٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٠٠ .
قلت : إن صح هذا عنه فهو من الإسرائيليات التي ملئت بها كتب التفسير ، وابتليت بها الأمة ، وكشف زيفها وكذبها وبعدها عن الحقيقة والواقع .

(٢) في (س) : (والسدي) زيادة .

(٣) انظر : جامع البيان ٢٩/ ١٠ ، والكشف والبيان ١٢/ ١٦٠ أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٨٤ .

(٤) انظر : اللسان (نون) ٣/ ٧٥٠ .

(٥) عند تفسيره الآية (٨٧) من سورة الأنبياء .

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : «(ن) الدواة»[١] ، ونحوَ هذا روى الضحاك[٢] ؛ وهو قول الحسن وقتادة[٣] . والنون في اللغة الدواة ، ومنه قول الشاعر[٤] :

إذا ما الشَّوْقُ بَرَّحَ بي إِلَيهِمْ أَلِفْتُ النُّونَ بِالدَّمْعِ السَّجومِ

وروى عكرمة[٥] عن ابن عباس أن (نون) هاهنا آخر حروف الرحمن . قال : «(الر) و(حم) و(ن) حروف الرحمن مقطعة»[٦] .

وروى معاوية بن قرة[٧] مرفوعاً أن (نون) هاهنا لوحٌ من نور[٨] .

---

(١) انظر : تفسير مجاهد ٢/ ٦٨٧ ، وجامع البيان ٢٩/ ١٠ .

(٢) في (س) : (ونحو هذا روى الضحاك) زيادة .

(٣) انظر : الكشف والبيان ١٢/ ١٦١أ ، وزاد المسير ٨/ ٣٢٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٢٣ .

(٤) لم أجده . وفي تهذيب اللغة ١٥/ ٥٦٠ قال : « . . . ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾ لا يجوز فيه غير الهجاء ، ألا ترى أن كتَّاب المصحف كتبوه ﴿نٓ﴾ ؟ ولو أريد به الدواة أو الحوت كتب نون» . وانظر : المحرر الوجيز ١٦/ ٧٣ .

(٥) (س) : (عكرمة) زيادة .

(٦) انظر : جامع البيان ٢٩/ ١٠ ، والأسماء والصفات للبيهقي ١/ ٢٣٠ ـ ٢٣٣ بسندين أحدهما ضعيف والآخر حسن ، والكشف والبيان ١٢/ ١٦١ أ .

(٧) معاوية بن قرة المدني البصري ، ثقة عالم ، مات سنة ١١٣ هـ عن ثمانين سنة ، وكان يقول : «لقيت ثلاثين صحابيّاً» . انظر : سير أعلام النبلاء ٥/ ١٥٣ ، وطبقات ابن سعد ٧/ ٢٢١ ، والتقريب ٢/ ٢٦١ ، والتاريخ الكبير ٤/ ٣٣٠ .

(٨) أخرجه ابن جرير عن معاوية عن أبيه . جامع البيان ٢٩/ ١٠ . قال ابن كثير : «وهذا مرسل غريب» . تفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٠١ . وقال أبو حيان : «لعله لا يصح شيء من ذلك» ، والبحر المحيط ٨/ ٣٠٧ . وقال ابن حجر : «والمشهور في ﴿نٓ﴾ أنَّ حكمها حكم أوائل السور في الحروف المقطعة ، وبه جزم الفرَّاء» .
فتح الباري ٨/ ٦٦١ ، وانظر : التفسير الكبير ٣٠/ ٧٧ ، وروح المعاني ٢٩/ ٢٣ .

وقال أبو عبيدة وابن كيسان[١] : «(نون) فاتحة السورة كسائر الفواتح»[٢] .

وقال المبرِّد : «(ن) اسم الحرف المعروف من حروف الهجاء نحو (ق) و(م) . وهذا هو الأشبه ؛ لأنه لو كان للسمكة لكان معرباً غير ساكن الآخر[٣] ؛ لأنه اسم لمسمى[٤] ، وحروف المعجم إنما هي موضوعة على الوقف ، ولذلك يلتقي في أواخرها ساكنان» ؛ هذا كلامه . وقد اختار قول من قال : إنه من حروف المعجم لافتتاح السورة ، والمراد به آخر حروف الرحمن لبنائه على السكون . والقول ما قال[٥] .

والقراء مختلفون في إظهار النون وإخفائه من قوله : ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ ﴾[٦] ، فمن أظهرها فلأنه ينوي بها الوقف بدلالة اجتماع الساكنين فيها ، وإذا كانت موقوفة كانت في تقدير الانفصال مما قبلها ، وإذا انفصل مما قبلها وجب التبيين ؛ لأنها إنما

---

(١) في (س) : (وابن كيسان) زيادة .

(٢) انظر : مجاز القرآن ٢/ ٢٦٤ .

(٣) في (ك) : (الأخير) .

(٤) في (ك) : (المسمى) .

(٥) انظر : التفسير الكبير ٣٠/ ٧٧ ، وفي العظمة ٢/ ٥٣٢ قال المحقق : «ولم يصح في ذلك شيء مرفوع عن النبي ﷺ ، وإنما روى بعض الصحابة ومن بعدهم» .
قلت : ورد في الحروف المقطعة نُقولٌ لا تسلم سنداً ، وآراء لا تسلم اجتهاداً . والأسلم فيها السكوت عن التعرض لمعناها من غير مستند شرعي ، وتفويض أمرها إلى الله ، والقول بكل تواضع : الله أعلم . وبهذا قال كثير من سلف الأمة ـرحمهم الله ـ جميعاً .
وقال الشوكاني ـرحمه الله ـ بعد التحقيق في هذه المسألة : «والذي أراه لنفسي ولكل من أحب السلامة ، واقتدى بسلف الأمة أن لا يتكلم بشيء من ذلك ، مع الاعتراف بأن في إنزالها حكمة لله ـعز وجل ـ لا تبلغها عقولنا ، ولا تهتدي إليه أفهامنا ، وإذا انتهت إلى السلامة في مدارك فلا تجاوزه» .
انظر : فتح القدير ١/ ٣٥ .
وانظر : لباب التأويل ١/ ١٩ ، وروح المعاني ١/ ٣٥ ، والإسرائيليات لأبي شهبة ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

(٦) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وحمزة ، وحفص : (نون وَالْقَلَمِ) بإظهار النون . وقرأ الباقون بإخفائها . انظر : حجة القراءات ٧١٧ ، والإتحاف ٤٢١ ، وزاد المسير ٨/ ٣٢٦ .

تخفى في حروف الفم عند الاتصال . ووجه الإخفاء أن همزة الوصل لم تقطع مع هذه الحروف في نحو : ﴿الٓمٓ﴾ ، وقولهم في العدد : واحد ، اثنان . فمن حيث لم تقطع الهمزة معها علمت أنه في تقدير الوصل ، وإذا وصلتها أخفيت[١] النون[٢] . وقد ذكرنا هذا في قوله : ﴿صٓ ۚ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾ [ص :١] ، و﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾ [يس :١ ، ٢] قال الفرَّاء : «وإظهارها أعجب إليَّ ؛ لأنها هجاء ، والهجاء كالوقوف وإن اتصل»[٣] .

قوله تعالى : ﴿وَٱلۡقَلَمِ﴾ . قال ابن عباس : «أول ما خلق الله القلم ، ثم قال له : اكتب ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة ، فجرى بما هو كائن من ذلك اليوم إلى أن تقوم الساعة»[٤] قال : «وهو قلم من نور طوله كما بين السماء والأرض» . وهذا قوله في رواية أبي الضحى ، وأبي ظبيان ، وأبي صالح ، ومقسم[٥] .

---

(١) في (ك) : (خفيت) .

(٢) انظر : الحجة للقراء السبعة ٦/ ٣٠٩ ، ٣١٠ .

(٣) انظر : معاني القرآن ٣/ ١٧٢ .

قلت : واختيار الفرَّاء للإظهار لا يعني الطعن أو الرد لما صح عن رسول الله ﷺ ، وهو اختيار ابن جرير أيضاً . حيث قال : «والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان فصيحتان بأيتهما قرأ القارئ أصاب ، غير أن إظهار النون أفصح وأشهر ، فهو أعجب إليَّ» . جامع البيان ٢٩/ ١١ .

(٤) أخرجه ابن جرير في جامعه ٢٩/ ١٠ ، وابن أبي حاتم ، وأحمد في المسند ٥/ ٣١٧ ، والترمذي في سننه ، كتاب القدر ٤/ ٣٩٧ (٢١٥٥) ، وقال : «هذا حديث غريب من هذا الوجه» . وفي الأسماء والصفات للبيهقي ٢/ ٢٣٩ ، قال محققه : «صحيح إلى ابن عباس» ، ثم ذكر طرقه عن ابن عباس . ثم عقب بذكر الحديث مرفوعاً من حديث عبادة بن الصامت وقال : «وبالجملة فالحديث بهذه الطرق صحيح لغيره» .

وهو حديث صحيح كما في تحقيق شرح الطحاوية ٢/ ٣٤٤ .

(٥) في (س) : (وأبي ظبيان ، وأبي صالح ، ومقسم) زيادة . وانظر : الجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٢٥ .

وروى مجاهد عنه قال : «كان أول[١] ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب القدر . قال : فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة ، وإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه»[٢] .

وهذا قول جميع المفسرين . قالوا : هو القلم الذي كتب به اللوح المحفوظ[٣] . قوله : ﴿ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ . قالوا : يعني وما تكتب الملائكة الحفظة من أعمال بني آدم[٤] .

٢ . قوله تعالى : ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ قال أبو إسحاق : «﴿ أَنتَ ﴾ هو اسم ﴿ مَآ ﴾ و﴿ بِمَجْنُونٍ ﴾ الخبر ، و﴿ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ ﴾ موصولة بمعنى النفي . انتفى عنك الجنون بنعمة ربك كما تقول : أنت بنعمة الله[٥] فَهِمٌ ، وما أنت بنعمة الله بجاهل» . وتأويله : فارقك الجهل بنعمة ربك[٦] . وهذا جواب لقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الحجر :٦] .

---

(١) في (س) : (كان أول) زيادة .

(٢) انظر : جامع البيان ٢٩/ ١١ ، وهو معنى حديث سراقة بن مالك ، الذي رواه مسلم في صحيحه في كتاب القدر ، باب كيفية الخلق الآدمي ٤/ ٢٠٤٠ ، وأحمد في مسنده ٣/ ٢٩٢ ، وغيرهما .

(٣) قول المؤلف رحمه الله : «وهذا قول جميع المفسرين» ؛ صوابه : بعض المفسرين . والأكثرون على أنه جنس أقسم الله سبحانه بكل قلم يكتب به في السماء وفي الأرض . انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٢٥ ، وغرائب القرآن ٢٩/ ١٥ .
وقال ابن كثير : «والظاهر أنه جنس القلم الذي يكتب به كقوله : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق :١ـ٥] ، فهو قسم منه تعالى وتنبيه لخلقه على ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التي بها تنال العلوم» . تفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٠١ .

(٤) انظر : زاد المسير ٨/ ٣٢٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٢٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٠١ ، وهو منسوب لابن عباس ، ومقاتل ، والسدي .

(٥) في (ك) : (ربك) .

(٦) انظر : معاني القرآن ٥/ ٢٠٤ .

قال مقاتل : «وذلك حين قال كفار مكة : إن محمداً مجنون ، فأقسم الله بالحوت وبالقلم وبأعمال بني آدم ، فقال : ﴿ مَآ أَنتَ ﴾ يا محمد ﴿ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ ﴾ ، يعني برحمة ربك ﴿ بِمَجْنُونٍ ﴾ »[١] ، وقال عطاء عن[٢] ابن عباس : «يريد بنعمة ربك عليك بالإيمان والنبوة»[٣] .

٣. قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ أكثر المفسرين وأهل المعاني يقولون : غير منقوض ولا مقطوع ، يقال : منَّهُ السير ؛ أي أضعفه . والمنين : الضعيف ، ومنَّ الشيء إذا قطعه[٤] ، ومنه قول لبيد[٥] :

غُبْسٌ كَواسِبُ ما يُمَنُّ طَعامُها

يصف كلاباً ضارية . وقال مجاهد : «غير محسوب»[٦] . وهو المن الذي يريد به الاعتداد . وهو معنى قول مقاتل : «لا يمن به عليك»[٧] .

---

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٦٢ب ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٢٥ .

(٢) في (س) : (عطاء عن) زيادة .

(٣) انظر : التفسير الكبير ٣٠/ ٧٩ ، وغرائب القرآن ٢٩/ ١٥ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٣/ ١٧٣ ، وجامع البيان ٢٩/ ١٢ ، واللسان (منن) ٣/ ٥٣٥ .

(٥) ديوان لبيد ١٧١ ، وشرح المعلقات السبع للزوزني ٨٣ ، والخصائص ١/ ٢٩٦ . وتهذيب اللغة (قهد) ٥/ ٣٩٤ ، واللسان (قهد) ٣/ ١٨٠ ، وصدر البيت :

لِمُعَفَّرٍ قَهْدٍ تنازَعَ شِلْوَهُ

والعفر : الإلقاء على العفر ، وهو أديم الأرض . والفهد : الأبيض . والشلو : العضو . والغبس : الذئاب أو الكلاب .

والمعنى : أن طعام الذئاب لا يفتر لكثرة الاصطياد أو طعام الذئاب لا يقطعه أصحابها .

(٦) انظر : جامع البيان ٢٩/ ١٢ ، والبحر المحيط ٨/ ٣٠٨ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ١٦٢ب ، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٨١ ، والتفسير الكبير ٣٠/ ٨٠ .

وقال الكلبي : «غير مكدر عليك في الجنة»[١] . والقول هو الأول . والمعنى : إن لك لأجراً يصبرك على بهتهم وافتراءاتهم عليك ، وقولهم : إنك مجنون : غير ممنون .

٤. ثم مدحه مع وعد الأجر بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء[٢] : «يريد دين عظيم ، لم أخلق من الأديان أحب ولا أرضى عندي منهن اختصصتك به واصطفيته[٣] لك ولأمتك» . ونحو هذا قال الكلبي : «على دين عظيم» . وهو قول مقاتل ، ومجاهد ، والسدي ، وأبي مالك ، وابن زيد بن أسلم[٤] وجماعة[٥] ؛ قالوا : يعني الإسلام والدين[٦] .

وروى عكرمة عن ابن عباس قال : «يعني القرآن» ؛ وهو قول الحسن والعوفي قالا[٧] : «يعني أدب القرآن»[٨] .

ويدل على هذا ما روي أن عائشة سئلت عن خلق رسول الله ﷺ فقالت : «كان خلقه القرآن»[٩] .

---

(١) انظر : تنوير المقباس ٦/ ١١٦ ، والتفسير الكبير ٣٠/ ٨٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٢٦ .

(٢) في (س) : (في رواية عطاء) زيادة .

(٣) في (ك) : (واصطفيتك) .

(٤) في (س) : (والسدي ، وأبي مالك ، وابن زيد بن أسلم) زيادة .

(٥) (وجماعة) ساقطة من (س) .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ١٦٢ب ، وجامع البيان ٢٩/ ١٢ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٧٥ ، وزاد المسير ٨/ ٣٢٨ .

(٧) في (ك) : (قال) .

(٨) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٢٧ ، ورجحه ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٠٢ ، والدر ٦/ ٢٥١

(٩) الحديث رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب جامع صلاة الليل ١/ ٥١٣ ، وأبو داود في كتاب التطوع ٢/ ٩٩ ، والنسائي في كتاب قيام الليل ٢/ ١٩٩ .

وفسره قتادة فقال : «ما كان يأتمر به من أمر الله وينتهي عنه من نَهْي الله»[١] . واختاره الزَّجَّاج فقال : «المعنى إنك على الخلق الذي أمرك[٢] الله به في القرآن»[٣] . ومعنى الخلق في اللغة : العادة[٤] . ذكرنا[٥] ذلك في قوله : ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء :١٣٧] .

وقال ابن الأعرابي : «الخلق : الدين ، وسمي خلق رسول الله ﷺ عظيماً لعظم قدره وجلالة محله عند الله تعالى»[٦] .

٥ـ٦. قوله[٧] : ﴿فَسَتُبْصِرُ﴾ ؛ أي فسترى يا محمد ، ﴿وَيُبْصِرُونَ﴾ يعني المشركين . ﴿بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ اختلفوا في الباء هاهنا ، فأكثر المفسرين وأهل المعاني على أنها صلة زائدة[٨] . والمعنى : أيكم المفتون وهو الذي فتن بالجنون . قال أبو عبيدة : «مجازه أيكم» ، وأنشد :

يَضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَيَرْجُو بِالفَرَجْ[٩]

(١) انظر : الكشف والبيان ١٢/ ١٦٣أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٧٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٢٧ .
(٢) في (ك) : (أمر) .
(٣) انظر : معاني القرآن ٥/ ٢٠٤ .
(٤) انظر : مفردات الراغب (خلق) ١٥٧ .
(٥) في (ك) : (ذكر) .
(٦) انظر : تهذيب اللغة (خلق) ٧/ ٢٩ .
(٧) في (س) : (قوله) زيادة .
(٨) انظر : معاني القرآن للأخفش ٧١٢ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٨٢ ، والبحر المحيط ٨/ ٣٠٩ .
(٩) البيت للنابغة الجعدي ، وصدره :
نَحْنُ بَنُو جَعْدَةَ أَصْحابُ الْفَلَجْ
انظر : ديوانه ٢١٦ ، والخزانة ٩/ ٥٢٠ ، ومغني اللبيب ١٠٨ ، ومجاز القرآن ٢/ ٢٦٤ ، وتفسير القرآن ٤٧٨ ، والإنصاف ٢٨٤ .

ونحوه قال الأخفش وابن قتيبة[١] .

وقال مقاتل : «هذا وعيد العذاب ببدر»[٢] . يعني : سترى ، ويرى أهل مكة إذا نزل بهم العذاب ببـــدر أيُّكم المفتون . ونحو هذا قال قتادة[٣] ، وابن عباس في رواية عطاء يقول : «بأيكم المجنون»[٤] . وهذا محمول على زيادة الباء .

وقال أبو إســـحاق : «لا يجوز أن يكون الباء هاهنا لغواً في قول أحد من أهل العربية»[٥] ، وفيه قولان للنحويين :

أحدهما : قالوا : المفتون هاهنا بمعنى الفتون[٦] . والمصادر تجيء على المفعول نحو المعقول والميســـور . ويقال : ليس له معقـــود رأي ؛ أي عقد رأي . والمفتون هاهنا بمعنى الفتون[٧] ؛ أي الجنون . وهذا قول الحسن والضحاك[٨] ورواية عطية عن ابن عباس . قالوا : «بأيكم الجنون»[٩] .

---

(١) (س) : (ونحوه قال الأخفش وابن قتيبة) زيادة . انظر : معاني القرآن ٢/ ٧١٢ ، وتفسير غريب القرآن ٤٧٧ ، ٤٧٨ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٦٢ب ، والتفسير الكبير ٣٠/ ٨٢ .

(٣) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٠٨ ، وجامع البيان ٢٩/ ١٤ .

(٤) انظـــر : تنوير المقبـــاس ٦/ ١١٧ برواية الكلبي ، والكشـــف والبيـــان ١٢/ ١٦٤ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٧٧ ، ذكره برواية العوفي .

(٥) مراد الزَّجَّاج من قوله هذا : أن من قال بزيادتها لم يســـتند على نقـــل صحيح عن أهل اللغة ، وإنما هو اجتهاد منه .

(٦) في (ك) : (المفتون) .

(٧) انظر : معاني القرآن ٥/ ٢٠٥ .

(٨) في (س) : (والضحاك) زيادة .

(٩) انظر : جامع البيان ٢٩/ ١٣ ، والتفسير الكبير ٣٠/ ٨٢ .

والقول الثاني : أن الباء بمعنى في[١] . ومعنى الآية : ستبصر ويبصرون في أيِّ الفريقين المجنون ؛ أي فرقة الإسلام أم في[٢] فرقة الكفار[٣] . والقولان للفرَّاء[٤] فشرحهما أبو إسحاق .

وقال في البيت الذي أنشده أبو عبيدة : معناه : نرجو كشف ما نحن فيه بالفرج ، أو نرجو النصر بالفرج[٥] . وهذا القول ، وإن أنكره ، غير مردود ؛ لأن زيادة الباء كثير في الكلام وفي التنزيل ، ذكرنا ذلك في عدة مواضع[٦] . واختار المبرِّد أن يكون ﴿ ٱلْمَفْتُونُ ﴾ مصدراً بمعنى الفتنة[٧] .

٨ـ٩. قوله تعالى : ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ يعني رؤساء أهل مكة ، وذلك أنهم دعوه إلى دين فنهاه الله أن يطيعهم ، ﴿ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ قال الليث : «الإدهان : اللين والمصانعة» . وقال أبو الهيثم : «الإدهان : المقاربة في الكلام والتليين في القول»[٨] .

---

(١) في (ك) : (في معنى) .

(٢) في (س) : (في) زيادة .

(٣) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٥/ ٢٠٥ .

(٤) انظر : معاني القرآن ٣/ ١٧٣ .

(٥) انظر : معاني القرآن ٥/ ٢٠٥ .

(٦) اختلف العلماء في وقوع الزائد في القرآن ، فالمبرِّد ، وثعلب ، وابن السراج وغيرهم قالوا : لا صلة في القرآن ، والجمهور على إثبات الصلات في القرآن . ومراد من أثبت الحروف الزائدة في القرآن ما أتي به لغرض التقوية والتوكيد ، وليس المراد إهمال اللفظ ولا كونه لغواً فتحتاج إلى التنكب عن التعبير بها إلى غيرها . انظر : البسيط في شرح جمل الزَّجَّاجي ٢/ ٨٥٦ ، والبرهان في علوم القرآن ٣/ ٧٢ .

(٧) انظر : التفسير الكبير ٣٠/ ٨٢ .
وقال ابن تيمية ـرحمه اللهـ عند هذه الآية : «هذه تفسير آيات أشكلت حتى لا يوجد في طائفة من كتب التفسير إلا ما هو خطأ فيها . منها قوله : ﴿ بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴾ حار فيها كثير ، والصواب المأثور عن السلف» ؛ ثم ذكر ما روي عن مجاهد والحسن وغيرهما ، إلى أن قال : «والذين لم يفهموا هذا قالوا : الباء زائدة . قاله ابن قتيبة وغيره . وهذا كثير . .» ، ودقائق التفسير ٥/ ١٩ ، ٢٠ .

(٨) انظر : تهذيب اللغة (دهن) ٦/ ٢٠٥ ، واللسان (دهن) ١/ ١٠٢٩ .

وقال المبرِّد : «أدهن الرجل في دينه ، وداهن في أمره ، إذا خان وأظهر خلاف ما يضمر»[١] . وذكرنا هذا عند قوله : ﴿ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴾ [الواقعة :٨١] . قال الكلبي : «لو[٢] تصانعهم في الدين فيصانعونك»[٣] . والمعنى : تترك بعض ما أنت عليه مما لا يرضونه مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك ويتركوا بعض ما لا ترضى فتلين لهم ويلينون . وهذا قول مجاهد : «تركن إليهم وتترك ما أنت عليه من الحق فيمالئونك»[٤] . وهذا قول أكثر المفسرين[٥] . ومعنى رواية الوالبي عن ابن عباس[٦] .

وقال ابن قتيبة : «كانوا أرادوه على أن يعبدوا آلهتهم مدة ويعبدوا الله مدة»[٧] .

وروى عنه عطاء : «لو تكفر[٨] يكفرون» . وهذا قول مقاتل ، وعطية ، والضحاك[٩] . وهذا كالأول ، لأنه يكفر بمداهنتهم لو فعل ، وهم يكفرون باتباعه فيتبعونه على الكفر[١٠] .

---

(١) انظر : التفسير الكبير ٣٠/ ٨٣ .

(٢) في (س) : (لو) زيادة .

(٣) في (ك) : (فيصانعوك) .
وانظر : تنوير المقباس ٦/ ١١٧ ، ونسب أيضاً للحسن كما في الكشف والبيان ١٢/ ١٦٤ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٧٧ ، وزاد المسير ٨/ ٣٣٠ ، وذكروا عن الكلبي قوله : «ودوا لو تلين لهم فيلينون لك» .

(٤) انظر : جامع البيان ٢٩/ ١٤ ، والدر ٦/ ٢٥١ .

(٥) انظر : غرائب القرآن ٢٩/ ١٧ .

(٦) انظر : جامع البيان ٢٩/ ١٤ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٨٣ ، والكشف والبيان ١٢/ ١٦٤ب .

(٧) انظر : تفسير غريب القرآن ٤٧٨ .

(٨) (ك) : (تكفرون) .

(٩) (س) : (والضحاك) زيادة . انظر : تفسير مقاتل ١٦٣أ ، والكشف والبيان ١٢/ ١٦٤ب ، وزاد المسير ٨/ ٣٣١ .

(١٠) قال ابن العربي : «ذكر المفسرون فيها نحو عشرة أقوال . . . أمثلها قولهم : ودوا لو تكذب فيكذبون ، ودوا لو تكفر فيكفرون» . أحكام القرآن ٤/ ١٨٤٣ .
وقال القرطبي تعقيباً على ابن العربي : «كلها إن شاء الله تعالى صحيحة على مقتضى اللغة والمعنى . . .» الجامع ١٨/ ٢٣١ .

١٠. قولــه : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ ﴾ : كثير الحلــف بالباطل ، ﴿ مَّهِينٍ ﴾ قال مجاهد ومقاتل : «ضعيف القلب»[١] .

قــال الزَّجَّاج : «هو فعيل من المهانة وهي القلة ، ومعناه هاهنا القلة في الرأي والتمييز»[٢] . وهذا معنى قول المفسرين : ضعيف القلب .

وقال الحســن وقتادة : «المهــين : المكثار من الشر»[٣] . ومعنــاه أنه الوضيع بإكثــاره من القبيح . وقيل : هو القبيح . وقيل : الحقير ، لأنه عرف أنه يحلف على الكذب[٤] .

وقــال ابن عباس في رواية عطاء[٥] : «يعني : الأخنس بن شريق» ؛ وهو قول السدي والكلبي[٦] .

وقال مقاتــل : «نزلت في الوليد بن المغيرة حين عــرض على النبي ﷺ المال ليرجع عن دينه»[٧] .

---

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٦٣أ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٣١ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٠٣ .

(٢) انظر : معاني القرآن ٥/ ٢٠٥ .

(٣) انظر : جامع البيان ٢٩/ ١٥ ، والكشف والبيان ١٢/ ١٦٥ أ .

(٤) انظر : التفسير الكبير ٣٠/ ٨٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٨/ ٢٣١ .

(٥) في (س) : (في رواية عطاء) زيادة .

(٦) في (س) : (والكلبي) زيادة .
انظر : تفســير عبدالرزاق ٢/ ٣٠٨ ، وجامــع البيان ٢٩/ ١٥ ، ومعالم التنزيــل ٤/ ٣٧٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٣١ ، ذكروا هذا القول من دون نســبة إلى ابن عباس ، وإنما قصروه على عطاء والكلبي والسدي .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ١٦٣أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٧٧ .

١١-١٢. قوله تعالى: ﴿هَمَّازٍ﴾ قال المبرِّد: «هو الذي يهمز الناس بالمكروه، وأكثر ذلك بظهر الغيب»[١].

وقال الزَّجَّاج: «مغتاب للناس»[٢].

وقال ابن عباس: «طعَّان للناس»[٣]. وقال مقاتل: «مغتاب»[٤].

﴿مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾ يمشي بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم. ويقال: نمَّ يَنُمُّ ويَنِمُّ نمّاً ونميماً ونميمة. ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ قال عطاء والكلبي[٥] عن ابن عباس، ومقاتل: «معنى الخير هاهنا الإيمان والإسلام، كان له عشرة بنين، وكان يقول لهم ولِلَحمتِه من قرابته: لئن تبع دين محمد منكم أحد[٦] لا أنفعه بشيء أبداً»[٧]؛ فمنعهم الإسلام وهو الخير الذي منعهم. وعلى هذا معناه: مناع للإيمان والإسلام؛ أي يمنعهما الناس. ويجوز أن يكون المعنى[٨]: مناع رفدَه ونفعه لأجل الخير وهو الإسلام.

وقال آخرون: معناه: بخيل بالمال. فالخير على هذا القول المال، وهو اختيار ابن قتيبة[٩].

---

(١) انظر: التفسير الكبير ٣٠/ ٨٤.
(٢) انظر: معاني القرآن: للزَّجَّاج ٥/ ٢٠٥.
(٣) انظر: تنوير المقباس ٦/ ١١٧.
(٤) انظر: تفسير مقاتل ١٦٣أ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٣٢.
(٥) في (س): (والكلبي) زيادة.
(٦) في (س): (أحد) زيادة.
(٧) انظر: تنوير المقباس ٦/ ١١٧، وتفسير مقاتل ١٦٣أ، والكشف والبيان ١٢/ ١٦٥أ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٧٨.
(٨) في (س): من (مناع للإيمان) إلى هنا زيادة.
(٩) انظر: تفسير غريب القرآن ٤٧٨، وجامع البيان ٢٩/ ١٥، وزاد المسير ٨/ ٣٣٢.

قولــه تعالى : ﴿ مُعْتَدٍ ﴾ قال مقاتل : «يعني في الغشــم والظلم»[١] . والمعنى أنه ظلوم يعتدي الحق ويتجاوزه فيــأتي بالظلم . وهو معنى قول الكلبي : «معتد للحق»[٢] . ومعناه أنه صاحب الباطل . ﴿ أَثِيمٍ ﴾ أثم بغشــمه وظلمه ، وصار ذا إثم .

وقال عطاء[٣] : «أثيم في جميع أفعاله» .

وقال الكلبي : «يعني فاجراً»[٤] .

١٣. قولــه تعالى : ﴿ عُتُلٍّ ﴾ قال الفرَّاء : «العتل في هذا الموضع : الشــديد الخصومة بالباطل»[٥] ؛ وهو قول الكلبي[٦] .

وقال أبو عبيدة : «هو الفظُّ الكافر ، وهو الشديد في كل شيء»[٧] .

وقال المبرِّد : «العتل عند العرب : الجافي الخلق . ونحســبه- والله أعلم- في هذا الموضع المتجافي عن الحق» .

وقال الزَّجَّاج : «هو في اللغة : الغليظ الجافي»[٨] .

وقال الليث : «هو الأكول المنوع»[٩] .

---

(١) انظر : التفسير الكبير ٣٠/ ٨٤ .
(٢) انظر : معالم التنزيل ٤/ ٣٧٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٣٢ .
(٣) في (س) : من (أثم بغشمه) إلى هنا زيادة .
(٤) في (س) : (وقال الكلبي : يعني فاجراً) زيادة . وانظر : تنوير المقباس ٦/ ١١٨ .
(٥) انظر : معاني القرآن ٣/ ١٧٣ .
(٦) في (س) : (وهو قول الكلبي) زيادة . وانظر : تنوير المقباس ٦/ ١١٨ .
(٧) انظر : مجاز القرآن ٢/ ٢٦٤ .
(٨) انظر : معاني القرآن ٥/ ٢٠٦ .
(٩) انظر : اللسان (عتل) ٢/ ٦٨١ ، وزاد المسير ٨/ ٣٣٢ .

هذا قول أهل اللغة في تفسير العُتل[١] ، وأصله في العتل ، وهو السوق الشديد والقود العنيف من قوله : ﴿ فَٱعْتِلُوهُ ﴾ وقد مر[٢] . فالعُتل : الجافي الغليظ الشديد الخصومة والفظ العنيف .

وقال الفرَّاء في كتاب المصادر : «إنه لعُتُل بَيِّنُ العُتُلَّة ، بضم العين والتاء وتشديد اللام . قال : والعرب تقول : إنك لَعَتِلٌ شديد إلى الشر -بفتح العين وكسر التاء مخففة- بيَّن العتل»[٣] . معناه : إنك لسريع إلى الشر . وقوله المفسرين في هذا على قسمين :

أحدهما : أنه ذم في الخَلْق .

والثاني : أنه ذم في الخُلُق .

قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد : قوي ضخم»[٤] .

وقال مقاتل : «رحيب الجوف وثيق الخلق»[٥] .

وقال أبو رزين : «العتل : الصحيح»[٦] .

---

(١) في (س) : (هذا قول أهل اللغة في تفسير العتل) زيادة .

(٢) عند تفسيره الآية (٤٧) من سورة الدخان . قال : «العتل أن تأخذ بتلابيب الرجل فتعتله ؛ أي تجره إليك وتذهب به إلى حبس أو بلية . وأخذ فلان بزمام الناقة فعتلها ، وذلك إذا قبض على أصل الزمام عند الرأس وقادها قوداً عنيفاً . وقال ابن السكيت : عتلته إلى السجن وعتنته فأنا أعتله وأعتنه ، إذا دفعته دفعاً عنيفاً» .

(٣) انظر : اللسان (عتل) ٢/ ٦٨١٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٣٢ ، عن ابن السكيت .

(٤) انظر : التفسير الكبير ٣٠/ ٨٤ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٦٣أ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٣٣ .

(٦) انظر : جامع البيان ٢٩/ ١٦ .

وقال مجاهد : «هو الشديد الأشر»[١] .

وقال عبيد بن عمير[٢] : «هو الأكول الشروب القوي الشديد يوزن فلا يزن شعيرة[٣] ، يدفع المَلَك من أولئك سبعين ألفاً دفعة واحدة في جهنم»[٤] .

وقال الحسن : «هو الفاحش الخُلق ، اللئيم الضريبة»[٥] .

قوله تعالى : ﴿ بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ قال صاحب النظم : «(بعد) هاهنا بمنزلة مع على تأويل عتل مع ما وصفناه به»[٦] . وهذا معنى قول مقاتل[٧] . يعني مع هذا النعت . ﴿ زَنِيمٍ ﴾ الزنيم في اللغة : الدعيُّ .

قال أبو عبيدة[٨] : «الملصق بالقوم وليس منهم» ، وأنشد لحسان بن ثابت[٩] :

وَأَنْتَ زَنِيمٌ نِيطَ فِي آلِ هَاشِمٍ كما نِيطَ خَلْفَ الرَّاكِبِ الْقَدَحُ الْفَرْدُ

قال : «ويقال للتيس : زنيم له زنمتان»[١٠] .

---

(١) انظر : جامع البيان ٢٩/ ١٦ ، وزاد المسير ٨/ ٣٣٢ .

(٢) في (ك) : (شعرة) .

(٣) انظر : التفسير الكبير ٣٠/ ٨٤ .

(٤) انظر : المصنف لابن أبي شيبة ١٣/ ٤٤٠ ، والكشف والبيان ١٢/ ١٦٥أ ، وحلية الأولياء ٣/ ٢٧٠ ، وزاد المسير ٨/ ٣٣٢ .

(٥) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٠٨ ، وجامع البيان ٢٩/ ١٦ ، والدر ٦/ ٢٥١ .
والضريبة : الطبيعة ؛ أي اللئيم بطبعه .

(٦) انظر : معالم التنزيل ٤/ ٣٧٨ ، وزاد المسير ٨/ ٣٣٢ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ١٦٣أ .

(٨) (أبو عبيدة) ساقطة من (ك) .

(٩) ديوان حسان ٨٩ ، واللسان (زنم) ٢/ ٥٣ ، ومشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف ٣٨ . ونيطَ : أُخِّر . والمعنى : أنت زنيم مؤخر في آل هاشم كما يؤخر الراكب القدح خلفه .

(١٠) في (ك) : (زمتان) وانظر : مجاز القرآن ٢/ ٢٦٥ .

قال المبرِّد : «وإنما أُخِذ في ما ذكر أبو عبيدة من زنمت[١] الشاة إذا شقت أذنها فاسترخت هدبته[٢] ويبست كالشيء المعلق . والزنمة من كل شيء الزيادة»[٣] .

وقال ابن عباس في رواية عطاء[٤] : «يريد مع هذا هو دعي في قريش وليس منهم»[٥] . ونحو هذا روى ثابت بن أبي صفية عن رجل يكنى أبا عبدالرحمن عن ابن عباس قال : «هو اللئيم الملزق»[٦] ثم أنشأ يقول :

زَنيمٌ تَداعاهُ الرِّجالُ زِيادَةً كَما زيدَ في عُرْضِ الْأَديمِ الْأَكارِعُ[٧]

وهذا قول مجاهد ، وسعيد بن المسيب ، وعكرمة[٨] . قالوا : «هو ولد الزنا الملحق بالقوم في النسب وليس منهم»[٩] . وتمثل عكرمة فيه ببيت شعر فقال :

زَنيمٌ لَيْسَ يُعْرَفُ مَنْ أَبوهُ بَغِيُّ الْأُمِّ ذو حَسَبٍ لَئيم[١٠]

---

(١) في (ك) : (زمت) .

(٢) في (س) : (هُنية) .

(٣) انظر : الكامل ٣/ ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(٤) في (س) : (في رواية عطاء) زيادة .

(٥) انظر : معالم التنزيل ٤/ ٣٧٨ ، وتنوير المقباس ٦/ ١١٨ ، وهي من طريق الكلبي .

(٦) في (ك) : (المزلق) .

(٧) في (س) : (الكوارع) والبيت لحسان بن ثابت كما في ديوانه ٤٩١ ، وفي اللسان (زنم) ٢/ ٥٣ نسبه للخطيم التميمي .

(٨) أخرج ابن أبي حاتم نحوه عن عكرمة عن ابن عباس ، ورواه أبو عبيد ، والمبرِّد وغيرهما .
انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٣٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٠٤ ، وعند ابن جرير من طريق العوفي : «الزنيم : الدعي» . وعنده بسند صحيح عن ابن عباس أنه قال في الزنيم : «الذي يعرف بأبنة» . جامع البيان ٢٩/ ١٧ ، وتفسير ابن عباس مروياته للحميدي ٢/ ٨٩٧ . والأبنةُ : العيب في الخشب والعود ، يقال : ليس في حسب فلان أبنة ، كقولك : ليس فيه وصمة . اللسان (أبن) ١/ ٩ .

(٩) انظر : جامع البيان ٢٩/ ١٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٣٤ ، والبحر المحيط ٨/ ٣١٠ .

(١٠) لم أجد للبيت قائلًا . وانظر : المراجع السابقة .

ويؤكد هذا التفسير ما قال مرة الهمداني[١] : «إنما ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة سنة»[٢] . وفيه قول آخر :

قال الشعبي : «هو الرجل الذي يعرف بالشر ، كما تعرف الشاة بزنمتها»[٣] .

وقال سعيد بن جبير : «هو الرجل السوء يعرف بالشر ، يمر على القوم فيقولون : هذا رجل سوء»[٤] . ونحو هذا روى خصيف[٥] عن عكرمة قال : «الزنيم : الذي يعرف باللؤم كما تعرف الشاة بزنمتها»[٦] .

قال ابن قتيبة : «معنى هذا القول أنه قد لحقه[٧] سبة في الدِّعوة[٨] عرف بها مزنمة الشاة»[٩] . وفي الزنيم قول ثالث روى عكرمة[١٠] عن ابن عباس : «نعت فلم يعرف فقيل : ﴿زَنِيمٍ﴾ ، قال : وكانت له زنمة في عنقه يعرف بها»[١١] . وهذا قول مقاتل : «كان في أصل أذنه مثل زنمة الشاة»[١٢] .

---

(١) في (ك) : (الهمداني مرة) .

(٢) انظر : الكشف والبيان ١٢/ ١٦٥أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٧٨ .

(٣) انظر : الكشف والبيان ١٢/ ١٦٥ب ، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٩٩ عن ابن عباس وقال : «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي» .

(٤) انظر : تفسير مجاهد ٢/ ٦٨٨ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٧٨ ، والدر ٦/ ٢٥٣ ، عن ابن عباس ونسب تخريجه لابن أبي حاتم .

(٥) في (س) : (ونحو هذا روى خصيف عن) زيادة .

(٦) انظر : جامع البيان ٢٩/ ١٨ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٧٨ ، عن ابن عباس .

(٧) في (ك) : (لحقته) .

(٨) الدِّعوة : بكسر الدال : ادعاء الولد الدَّعيِّ غيَر أبيه . وقال ابن شميل : «الدَّعوة في الطعام والدِّعوة في النسب» . اللسان (دعا) ١/ ٩٨٧ .

(٩) انظر : تأويل المشكل ١٥٩ .

(١٠) في (س) : (عكرمة) زيادة .

(١١) أخرجه ابن جرير بسند صحيح . جامع البيان ٢٩/ ١٧ ، وتفسير ابن عباس ومروياته للحميدي ٢/ ٨٩٧ ، وفي البخاري ٦/ ١٩٨ عن ابن عباس قال : «رجل من قريش له زنمة مثل زنمة الشاة» .

(١٢) انظر : تفسير مقاتل ١٦٣أ ، والتفسير الكبير ٣٠/ ٨٥ ، وقال ابن كثير في تفسيره ٤/ ٤٠٥ : «والأقوال =

١٤ـ١٥ . ﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴾ قال الفرَّاء : «وقرئ : (أأن كان) بهمزتين»[١] . قال : «والمعنى : ولا تطع كل حلاف مهين أن كان ؛ أي لأن كان يريد لا تطعه لماله وبنيه . ومن قال : (أأن كان) فإنه وبخه ؛ والمعنى : ألأن كان ذا مال وبنين تطعه . وإن شئت قلت[٢] : أَلِأَن كان ذا مال وبنين إذا تتلى عليه آياتنا قال : أساطير الأولين . وكان حسن»[٣] .

واختار أبو إسحاق القول الثاني ، وقال : «(أنْ) نصب بمعنى قال ذلك ؛ لأن كان ذا مال وبنين ؛ أي جعل مجازاة النعم التي خُوِّلها من المال والبنين الكفر بآياتنا» .

قال : «وإذا جاءت ألف الاستفهام ومعناها التوبيخ فهذا هو القول ، ولا يصلح غيره . وإذ[٤] بغير استفهام جاز أن يكون المعنى : ولا تطع كل حلاف مهين أن كان ذا مال وبنين ؛ أي لا تطعه لِيَسَاره وعَدَده»[٥] .

وقد اتفقا[٦] على جواز أن يكون قال في قوله : ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ ﴾ عاملاً في (أنْ) في[٧] قوله : ﴿ أَن كَانَ ﴾ قال أبو علي : «لا يخلو من أن يكون العامل

= في هذا كثيرة ، وترجع إلى ما قلناه ، وهو أن الزنيم هو المشهور بالشر ، الذي يعرف به من بين الناس ، وغالباً يكون دعيّاً ولد زنا ، فإنه في الغالب يتسلط الشيطان عليه ما لا يتسلط على غيره» .

(١) قرأ ابن عامر : (آن كان) بهمزة مطولة ، وقرأ حمزة وأبو بكر : (أأنْ) بهمزتين مخففتين على الاستفهام . وقرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، والكسائي ، وحفص عن عاصم : ﴿أَن كَانَ﴾ على الخبر . انظر : حجة القراءات ٧١٧ ، والإتحاف ٤٢١ ، وزاد المسير ٨/ ٣٣٣ .

(٢) (قلت) زيادة من معاني القرآن للفرَّاء .

(٣) انظر : معاني القرآن ٣/ ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٤) بياض في المخطوطتين ، ولعلها (وإذا قرئ) .

(٥) انظر : معاني القرآن ٥/ ٢٠٦ .

(٦) أي الفرَّاء والزَّجَّاج .

(٧) في (س) : (في) زيادة .

فيه ﴿ تُتْلَىٰ ﴾ أو ﴿ قَالَ ﴾ أو شيء ثالث ، ولا يجوز أن يعمل واحد منهما فيه . ألا ترى أنَّ تتلى من قوله : ﴿ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا ﴾ قد أضيفت إذا إليه ، والمضاف إليه لا يعمل في ما قبله ؟ ألا ترى أنك لا تقول : القتال زيداً حين يأتي زيد ؟ ولا يجوز أن يعمل فيه (قال) أيضاً ؛ لأن (قال) جواب (إذا) ، وحكم الجواب أن يكون بعد ما هو جواب له ولا يتقدم عليه . وإذا لم يجز أن يعمل في (أنْ) واحد من هذين الفعلين علمت أنه محمول[1] على شيء آخر مما دل في الكلام عليه .

والذي يدل عليه هذا الكلام من المعنى هو يجحد أو يكفر أو يمسك عن قبول الحق ، ونحو ذلك . وإنما جاز أن يعمل المعنى فيه وإن كان متقدماً عليه لشبهه بالظرف ، والظرف قد تعمل فيه المعاني وإن تقدم عليها ويدلك على مشابهته للظرف تقدير اللام معه .

وإن من النحويين من يقول : إنه في موضع جر كما أنه لو كانت اللام ظاهرة معه كان كذلك ، فإذا صار كالظرف[2] من حيث قلنا لم يمتنع المعنى من أن يعمل فيه كما لم يمتنع من أن يعمل في نحو قوله : ﴿ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ [القيامة: ١٣] لما كان ظرفاً ، والعامل فيه بعثتم ، الدال عليه قوله : ﴿ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [سبأ: ٧] ، وكذلك ﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴾ ، كأنه جحد بآياتنا لأنْ كان ذا مال وبنين ، أو كفر بآياتنا لأنْ كان ذا مال وبنين»[3] . وعلى هذا المعنى يكون محمولاً في من استفهم فقال : أن كان ذا مال وبنين ؛ لأنه[4] توبيخ وتقرير ، فهو بمنزلة الخبر . ومثل ذلك قولك : ألأن أنعمت عليك جحدت نعمتي ، إذا وبخته بذلك . فعلى هذا تقدير الآية[5] .

---

(١) في (ك) : (مجنون) .

(٢) في (ك) : (فالظرف) .

(٣) في (س) : (أو كفر بآياتنا لأن كان ذا مال وبنين) زيادة .

(٤) في (س) : (لأنه) زيادة .

(٥) من قوله : (قال أبو علي . .) إلى هنا كلام أبي علي ، وفيه تصرف من المؤلف . =

١٦. قوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ الوسم: أثَرُ كَيَّة. يقال: وسمته فهو موسوم بسمة يعرف بها، إمَّا بكية، وإما قطع في أذن، علامة له[١].
قال أبو عبيد: «الخرطوم الأنف». وأنشد قول ذي الرمة[٢]:

تَنْجُو إِذا جَعَلَتْ تَدْمَى أَخِشَّتُها ... واعْتَمَّ بالزَّبَدِ الجَعْدِ الخَرَاطِيمُ

ونحو هذا قال أبو عبيد[٣].

وقال أبو زيد: «الخرطوم والخطم: الأنف». وقال المبرِّد: «الخرطوم هاهنا الأنف، وهو من السباع في مواضع الشفاه من[٤] الناس، والجحافل[٥] من ذوات الحوافر، المِرَمَّات والْمِقَمَّات[٦] من ذوات الأظلاف، والمشافر من الإبل، وهو من الفيل موضع الأنف»[٧]. واختلفوا في معنى هذا الوسم، فالأكثرون على أنه وعيد[٨] له بذلك في الآخرة.

= انظر: الحجة ٦/ ٣١٠، ٣١١، والبيان في غريب إعراب القرآن ٢/ ٤٥٣، والكشاف ٤/ ١٢٧، والتفسير الكبير ٣٠/ ٨٥.

(١) انظر: اللسان (وسم) ٣/ ٩٢٨.

(٢) انظر: ديوان ذي الرمة ١/ ٤٠٥، وتهذيب اللغة (عمّ) ١/ ١٢١، واللسان (عمّ) ٢/ ٨٨٩. وتنجو: تسرع السير. وأخشتها: جمع خشاش، وهي حلقة تكون في أنف البعير. والزبد: الجعد المتراكم على خطم البعير.

(٣) في (س): (ونحو هذا قال أبو عبيد) زيادة.

(٤) في (ك): (وقال أبو زيد: الخرطوم) زيادة. والصواب حذفها.

(٥) جحافل الخيل: أفواهها. وجحفلة الدابة: ما تناول به العلف، بمنزلة الشفة في الإنسان. اللسان (جحف) ١/ ٤٠٧.

(٦) المرمة (بالكسر): شفة البقرة، وكل ذات ظلف. والمِقَمَّة والمَقَمَّة، الشَّفة. وهي من ذوات الظِّلف خاصة، سميت بذلك؛ لأنها تقتم به ما تأكله؛ أي تطلبه، واللسان (رمم) ١/ ٩٢٢، و(قمم) ٣/ ١٦٦.

(٧) انظر: اللسان (خرطم) ١/ ٨١٥.

(٨) في (ك): (وعد).

قال مقاتل : «سنسمه بالسواد على الأنف ، وذلك أنه يُسوَّد وجهه قبل دخول النار»[١] . ونحو هذا قال أبو العالية : «يسود وجهه فيجعل له علماً في الآخرة ويعرف بسواد وجهه»[٢] ، وهذا القول اختيار الفرَّاء والزَّجَّاج[٣] .

قال الفرَّاء : «سنسمه سمة أهل النار ؛ أي سنسَوِّد وجهه ، والخرطوم[٤] وإن كان قد خص بالسمة ؛ لأن في مذهب الوجه ؛ لأن بعض الوجه يؤدي عن بعض»[٥] .

وقال الزَّجَّاج : «معنى ﴿ سَنَسِمُهُۥ ﴾ سنجعل له في الآخرة العلم[٦] الذي يعرف به أهل النار من اسوداد وجوههم ، وجائز -والله أعلم- أن ينفرد بسمة ؛ لتعاليه في عداوة النبي ﷺ ، فيُخصُّ من التشويه بما يتبين به من غيره ، كما كانت عداوته لرسول الله ﷺ عداوة يتبين بها من غيره»[٧] ، فهؤلاء جعلوا هذه السمة على الخرطوم سواد وجهه في الآخرة . وجعل الضحاك هذه السمة كيّاً على وجهه يعرف بها في الآخرة ، وهو معنى قول ابن عباس في رواية عطاء[٨] . كما تُوسَم الغنم ؛ واختاره الكسائي[٩] . وهذا قريب من قول أبي إسحاق الثاني . هذا كله قول من قال : إن هذا[١٠] الوعيد يلحقه في الآخرة .

---

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٦٣أ ، والتفسير الكبير ٣٠/ ٨٦ .

(٢) انظر : الكشف والبيان ١٢/ ١٦٧أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٧٩ .

(٣) في (س) : (وهذا القول اختيار الفرَّاء والزَّجَّاج) زيادة .

(٤) في (ك) : (قبل دخول النار ؛ أي سنسود وجهه والخرطوم) زيادة ، والصواب ما أثبته .

(٥) انظر : معاني القرآن ٣/ ١٧٤ .

(٦) في (ك) ، (س) : (علمًا العلم) ، والتصحيح من معاني الزَّجَّاج .

(٧) انظر : معاني القرآن ٥/ ٢٠٧ .

(٨) في (س) : (في رواية عطاء) زيادة .

(٩) انظر : الكشف والبيان ١٢/ ١٦٧أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٧٩ .

(١٠) في (س) : (هذا) زيادة .

وذهب بعضهم إلى أن هذه التسمية لحقته في الدنيا . وهو قول الكلبي عن ابن عباس قال : «سنخطمه بالسيف فنجعل ذلك علامة باقية على أنفه ما عاش ، فقاتل يوم بدر فخطم بالسيف في القتال»[١] . وذهب آخرون إلى أن معنى هذا الوسم أنه يُشهر بالقبيح والذكر السوء ؛ وهو قول قتادة ، واختيار ابن جرير وابن قتيبة[٢] .

قال قتادة : «سنلحق به شيئاً لا يفارقه»[٣] .

وقال ابن جرير[٤] : «سنبين أمره بياناً واضحاً حتى تعرفوه فلا يخفى كما لا تخفى السمة على الخراطيم»[٥] .

وشرح ابن قتيبة هذا المعنى . فقال : «للعرب[٦] في مثل هذا اللفظ مذهب تخبر به ؛ تقول العرب للرجل يسب الرجل سبة قبيحة[٧] باقية ، أو تَبيَّنوا عليه

---

(١) انظر : جامع البيان ١٨/٢٩ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٧٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٣٦ .
قلت : ذكر المفسرون ـ رحمهم الله ـ أن الآية نزلت في الوليد بن المغيرة أو الأسود بن عبد يغوث ، أو الأخنس بن شريق ، وكل هؤلاء لا يصدق فيهم ما رواه الكلبي هنا عن ابن عباس ، فالوليد لم يحضر غزوة بدر ، وكذا الأخنس ، والأسود أول من قتل من المشركين ، فكيف يجعل خطمه بالسيف علامة باقية ما عاش . ولهذا وغيره فالظاهر أن الآية وما قبلها نزلت في غير معين وأنه من عرف بالشر واشتهر به .
وانظر : دقائق التفسير ٥/ ١٧ ، والله تعالى أعلم .

(٢) في (س) : (وهو قول قتادة واختيار ابن جرير ، وابن قتيبة) زيادة .

(٣) انظر : جامع البيان ١٨/٢٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٠٥ .

(٤) في (س) : (قال ابن جرير) زيادة .

(٥) انظر : جامع البيان ١٨/٢٩ ، ١٩ .

(٦) في (س) : (فقال للعرب) زيادة .

(٧) في (س) : (قبيحة) زيادة .

فاحشة : قد وسمه بميسم[١] بسوء . يريدون ألصق به عاراً لا يفارقه كما أن السمة لا تنمحي ولا يعفو[٢] أثرها . قال جرير[٣] :

لَمَّا وَضَعْتُ على الفرزدَقِ مِيْسَمي

وعلى البَعيثِ[٤] جَدَعْتُ أَنْفَ الأخطَلِ

يريد أنه وسم الفرزدق وجدع أنف الأخطل بالهجاء ؛ أي أبقى به عليه عاراً كالجدع والوسم . وقال أيضاً[٥] :

رُفِعَ المَطِيُّ بما وسَمْتُ مُجاشِعاً والزَّنْبَرِيُّ يَعُومُ ذو الأَجْلالِ

يريد أن هجاءه قد سارت في المطِيِّ وغني به في البر والبحر»[٦] . وهذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة[٧] ، ولا يعلم أن الله -عز وجل- وصف أحداً وصفه له ، ولا بلغ من ذكر عيوبه ما بلغه من ذكرها عنه ، لأنه وُصِف بالحلف ، والمهانة ، والغيب للناس ، والمشي بالنمائم ، والبخل ، والظلم ، والإثم ، والدِّعوة ؛ فألحق به عاراً لا يفارقه في الدنيا ولا في الآخرة . كالوسم على الخرطوم ، وأبين ما يكون

---

(١) في (س) : (يسم) .

(٢) في (ك) : (ولا يمحوا) .

(٣) انظر : ديوان جرير ٢/ ٩٤٠ .

(٤) البَعِيث : خداش بن بشر ، كنيته أبو زيد ، أو أبو مالك . أحد بني مجاشع ، كان شاعراً ، وخطيباً مفوهاً . عاش في البصرة أو بالقرب منها ، وقف إلى جانب غسان السليطي ضد جرير . فدخل في معركة النقائض بين جرير والفرزدق .
انظر : طبقات فحول الشعراء ٣٢٦ ، والمؤتلف والمختلف ٥٦ ، ١٠٨ ، والأغاني ٨/ ١٦ ، وتاريخ التراث العربي ٢/ ٧٩ ، والخزانة ٢/ ٢٧٩ .

(٥) ديوان جرير ٢/ ٩٥٥ ، والزنبري هو السفن الثقيلة .

(٦) انظر : تأويل المشكل ١٥٦ .

(٧) وهو قول ابن عباس ، ومقاتل . انظر : تنوير المقباس ٦/ ١١٧ ، وتفسير مقاتل ١٦٣أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٧٧ .

في الوجه . ومما يشهد لهذا المذهب قول من قال في قوله : ﴿ زَنِيمٍ ﴾ أنه يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها .

١٧ . قوله تعالى : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ ﴾[١] الآية . قال المفسرون : «بلونا أهل مكة بالجوع والقحط كما ابتلينا أصحاب الجنة بالجوع حين هلكت جنانهم . وهم قوم من ثقيف ، كانوا باليمن[٢] مسلمين ورثوا من أبيهم ضيعة فيها جنان وزروع ونخيل . وكان أبوهم يجعل مما فيها للمساكين من كل شيء حظّاً عند الصرام وعند الحصاد والدياسة والرفاع[٣] . فقالت بنوه : العيال كثير ، والمال قليل ، ولا يسعنا أن نعطي المساكين كما كان يفعل أبونا . وعزموا على حرمان المساكين ، فصارت عاقبتهم إلى الهلاك وإلى ما قص الله في كتابه من قصتهم»[٤] .

قال مقاتل : «وهذا مثل ضربه الله لكفار مكة ليعتبروا فيرجعوا ، وهو قوله : ﴿ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ﴾ »[٥] ، قال المفسرون : «وهي تسمى[٦] : الضروان بقرب صنعاء»[٧] .

---

(١) (كما بلونا) ساقطة من (س) .

(٢) اليمن : تشرف على البحر الأحمر والمحيط الهندي ، ويطلق عليها بلاد العرب السعيد أو الخضراء ، وسميت اليمن لتيامنهم إليها ، قال ابن عباس : «تفرقت العرب ، فمن تيامن منهم سميت اليمن ، وهي أيمن الأرض فسميت اليمن» .
انظر : معجم البلدان ٥/ ٤٤٧ ، ودراسات تاريخية : العرب وظهور الإسلام ٥ .

(٣) (س) : (والرفاع) زيادة . والمراد به رفع المحصول في المخازن .

(٤) انظر : الكشف والبيان ١٢/ ١٦٧ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٧٩ ، من رواية الكلبي عن ابن عباس .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٦٣أ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٣٩ .

(٦) في (س) : (تسمى) زيادة .

(٧) صنعاء : نسبة إلى جودة الصنعة في ذاتها . كان اسمها أزال ، فلما وافتها الحبشة قالوا : هذه صنعة ، ومعناه : حصينة ، فسميت صنعاء بذلك . وبينها وبين عدن ثمانية وستون ميلاً ، وهي شبيهة بدمشق في كثرة المياه والفواكه . معجم البلدان ٣/ ٤٢٥ .

قال سعيد بن جبير : «على اثني عشر ميلاً منها»[١] . وقال الكلبي : «كان بينهم وبين صنعاء فرسخان ابتلاهم الله بأن أحرق جنتهم بالنار»[٢] .

قوله : ﴿ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾ حلفوا ليقطعن ثمر نخلهم إذا أصبحوا بسُدفة[٣] من الليل . قال مقاتل : «قالوا : اغدوا سرَّاً إلى جنتكم فاصرموها ولا تؤذنوا المساكين ، وكان آباؤهم يخبرون المساكين[٤] فيجتمعون عند صرام جنتهم»[٥] .

ويقال : قد صرم العذق عن النخلة وأرم النخل إذا حان وقت صرامه[٦] .

١٨ . قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴾ يقولون : إن شاء الله . هذا قول جماعة المفسرين[٧] . ويقال : حلف فلان يميناً ليس فيها ثنيا ولا ثنوى ولا ثنية ولا مثنوية ولا استثناء ، كله واحد ، وأصل هذا كله من الثني وهو الكف والرد[٨] ، وذلك أن الحالف إذا قال : والله لأفعلن كذا إلا أن يشاء الله غيره فقد رد ما قاله بمشيئة الله غيره .

---

(١) أخرج ابن جرير ، وعبدالرزاق وغيرهما بلفظ : «هي أرض باليمن يقال لها : ضروان ، بينها وبين صنعاء ستة أميال» . انظر : جامع البيان ٢٩/ ٢٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٠٦ ، وفتح الباري ٨/ ٦٦٢ .

(٢) انظر : الكشف والبيان ١٢/ ١٦٧ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٧٩ ، والفرسخ : السكون . وهو ثلاثة أميال أو ستة ، سمي بذلك ؛ لأن صاحبه إذا مشى قعد واستراح من ذلك كأنه سكن .

(٣) السُّدفة : ظلمة فيها ضوء من أول الليل وآخره ، ما بين الظلمة إلى الشفق ، وما بين الفجر إلى الصلاة . اللسان (سدف) ٢/ ١٢١ .

(٤) في (س) : (وكان آباؤهم يخبرون المساكين) زيادة .

(٥) في (ك) : (جنتكم) ، وانظر : تفسير مقاتل ١٦٣أ .

(٦) انظر : اللسان (صرم) ٢/ ٤٣٤ .

(٧) في (س) : (هذا قول جماعة المفسرين) زيادة .

(٨) انظر : اللسان (ثنى) ١/ ٣٨٢ .

١٩ـ٢٠. قولـه تعـالى : ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴾[١] . قال ابن عباس : «أحاطت بها النار فاحترقت»[٢] .

وقال الكلبي : «﴿ عَلَيْهَا ﴾ على الجنة ، أرسل عليها ناراً من السماء فاحترقت ، فذلك قوله : ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ ﴾ ، والطائف لا يكون إلا ليلاً»[٣] .

وروى[٤] أبو ظبيان[٥] عن ابن عباس قال : «هو أمر من أمر ربك»[٦] .

وقال قتادة : «طرقها طارق من أمر الله ، والطائف : الطارق ليلاً»[٧] . وحقيقة المعنى ما ذكره ابن عباس من قوله : أحاطت بها النار[٨] .

وقال مقاتل : «بعث ناراً بالليل على جنتهم فأحرقتها حتى صارت سـوداء ، فذلك قوله : ﴿ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ . قال : يعني أصبحت الجنة سوداء كالليـل» . وهو قول ابن عبـاس في رواية عطاء ؛ يعني كالليل المظلم[٩] ، شـبَّه

(١) (وهم نائمون) ساقطة من (س) .
(٢) انظر : زاد المسير ٨/ ٣٣٦ .
(٣) انظر : الكشف والبيان ١٢/ ١٦٨أ ، والتفسير الكبير ٣٠/ ٨٨ ، وغرائب القرآن ٢٩/ ١٩ .
(٤) في (ك) : (وقال) .
(٥) في (س) : (روى أبو ظبيان عن) زيادة .
(٦) انظر : جامع البيان ٢٩/ ١٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٤١ .
(٧) أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة قال : «أتاها أمر الله ليلاً فأصبحت كالصريم . قال : كالليل المظلم» .
وما ذكره المؤلف هنا هو قول ابن جرير رحمه الله ، والمعنى متقارب .
انظر : جامع البيان ٢٩/ ١٩ ، والدر ٦/ ٢٥٣ .
(٨) انظر : جامع البيان ٢٩/ ٢٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٤٢ .
(٩) انظر : تفسير مقاتل ١٦٣ب ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٠٦ ، والدر ٦/ ٢٥٤ .

سوادها بسواد الليل الدامس ، وهو آخر ليالي الشهر ، وهو أشد ما يكون ظلمة . وهذا القول في الصريم هو قول الفرَّاء والزَّجَّاج[١] .

قال شمر : «الصريم : الليل ، والصريم : النهار[٢] ، ينصرم الليل من النهار والنهار من الليل» . وعلى هذا الصريم بمعنى المصارم[٣] .

وقال غيره : «سُمِّي الليل صريماً ؛ لأنه يقطع بظلمته عن التصرف . وعلى هذا هو فعيل بمعنى فاعل ، وهو يبطل بالنهار . سمي صريماً ولا يصرم[٤] عن التصرف»[٥] .

وقال قتادة : «﴿كَٱلصَّرِيمِ﴾ كأنها صرمت»[٦] . وعلى هذا ، الصريم بمعنى المصروم ؛ أي المقطوع ما فيه . وأبى عطاء هذا القول فروى عن ابن عباس : «وليس يعني المصرومة ، وذلك أن النار تحرق الأشجار فلا تشبه ما قطع ثمره وإن احترقت الثمار دون الأشجار ، وهو بعيد أشبه المقطوع ثمره»[٧] .

وقال الحسن : «أي صرم عنها الخير فليس فيها شيء»[٨] . والصريم على هذا مفعول أيضاً . وقال المؤرج : «كالرملة[٩] انصرمت من معظم الرمل»[١٠] .

---

(١) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٣/ ١٧٥ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٥/ ٢٠٨ .

(٢) (النهار) ساقطة من (ك) ، (س) ، والصواب إثباتها . وانظر : الأضداد للأصمعي والسجستاني وابن السكيت ٤١ ، ١٠٥ ، ١٩٥ ، ٥٣٩ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (صرم) ١٢/ ١٨٥ ، واللسان (صرم) ٢/ ٤٣٥ .

(٤) في (ك) : (ولا يصرف) .

(٥) انظر : التفسير الكبير ٣٠/ ٨٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٤٢ .

(٦) انظر : تفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٠٦ ، وتهذيب اللغة (صرم) ١٢/ ١٨٥ ، واللسان (صرم) ٢/ ٤٣٥ .

(٧) في (س) : من قوله : (وأبى عطاء . .) إلى هنا زيادة . وانظر : غرائب القرآن ٢٩/ ١٩ .

(٨) انظر : الكشف والبيان ١٢/ ١٦٨أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٧٩ .

(٩) في (ك) : (كالرمث) .

(١٠) انظر : الكشف والبيان ١٢/ ١٦٨أ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٤٢ .

وقال الأصمعي : «الصريم من الرمل : قطعة ضخمة تنصرم عن سائر الرمل ، وتجمع[١] الصرائم»[٢] . وعلى هذا شبهت الجنة وهي محترقة لا ثمر فيها ولا خير بالرملة المنقطعة عن الرمال ، وهي لا تنبت شيئاً ينتفع به . وقال الأخفش : «كالصبح انصرم من الليل»[٣] . وقد ذكرنا أن النهار يسمى صريماً .

قال المبرِّد : «قيل : كالنهار لا شيء فيها ، كما يقال : لك سواد الأرض وبياضها . فالسواد العامر ، والبياض الغامر ، وعلى[٤] هذا شبهه بالنهار لخرابها وخلوها من الثمار والأشجار ، وهذا على المقابلة ، وذلك أن العامر لما سمي سواداً سمي الخراب بياضاً ، لا على معنى اللون[٥] ولكن على معنى المضادة»[٦] .

٢١-٢٢. قوله تعالى : ﴿ فَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴾ . قال مقاتل : «لما أصبحوا قال بعضهم لبعض : ﴿ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ ﴾ . قال يعني بالحرث الثمار والزرع والأعناب»[٧] ، ولذلك قال : (صارمين) ؛ لأنهم أرادوا قطع ثمار النخيل والأعناب .

وقال أبو إسحاق : «إن كنتم عازمين[٨] على صرم[٩] النخل» .

---

(١) في (ك) : (وجمعه) .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (صرم) ١٢/ ١٨٥ ، واللسان (صرم) ٢/ ٤٣٥ .

(٣) انظر : الكشف والبيان ١٢/ ١٦٨أ ، والبحر المحيط ٨/ ٣١٢ .

(٤) في (ك) : (سوى) .

(٥) (ك) : (الليل) .

(٦) لم أجد هذا القول ، وغيره من أقوال المبرِّد نقلها المؤلف ، وليست في مؤلفاته المعروفة ، ولعلها ـ والله أعلم ـ نقلت من كتابه إعراب القرآن ، وهو كتاب مفقود .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ١٦٣/ ب ، والتفسير الكبير ٣٠/ ٨٨ ، وغرائب القرآن ٢٩/ ١٩ .

(٨) (ك) ، (س) : (عازمين) ساقطة .

(٩) (ك) ، (س) : (الصرام) وانظر : معاني القرآن ٥/ ٢٠٨ .

وقال الكلبي : «على حرثكم ، يعني : ما كان في جنتهم من شجر وزرع»[١] ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴾ يعني[٢] : جاذِّين للنخل والحصاد ، ولم يرد الجمع بين النخل والزرع في الحصاد ؛ لأن الحصاد والقطاف لا يجتمعان في وقت واحد ، ولكنهم غدَوا إلى جنتهم لحصاد الزرع وللمقام بها إلى آخر القطاف .

و(أن) في قوله : ﴿ أَنِ ٱغْدُواْ ﴾ ؛ أيْ كما قال تعالى ذكره : ﴿ أَنِ ٱمْشُواْ ﴾ [ص :٦] ، وقد مر[٣] .

٢٣ـ٢٥. قوله تعالى : ﴿ فَٱنطَلَقُواْ ﴾ ؛ أي ذهبوا إلى جنتهم ﴿ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴾ يُسِرُّون الكلام بينهم بـ ﴿ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴾ ، ومضى تفسير التخافت عند قوله : ﴿ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾[٤] . قال ابن عباس : «غدوا إليها بسدفة يُسِرُّ بعضهم إلى بعض الكلام ؛ لئلا يعلم أحد من الفقراء والمساكين»[٥] .

وقال قتادة : «كانت الجنة لشيخ ، وكان يتصدق ، وكان يمسك قوته ويتصدق بالفضل ، وكان بنوه ينهونه عن الصدقة ، فلما مات غدوا عليها وقالوا : لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين[٦] ، ﴿ وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ ﴾» .

---

(١) انظر : جامع البيان ٢٩/ ٢٠ ، وزاد المسير ٨/ ٣٣٦ ، ولم ينسب لقائل .

(٢) (س) : (قال يعني) .

(٣) عند تفسيره الآية (٦) من سورة ص .

(٤) عند تفسيره الآية (١١٠) من سورة الإسراء . قال : «المخافتة : الإخفاء ، يقال : خفت صوته يخفت وخفاتاً إذا ضعف وسكن . وصوت خفيت أي خفيض . ومن هذا يقال للرجل إذا مات : قد خفت ، أي انقطع كلامه ؛ وخفت الزرع إذا ذبل ولان» .

(٥) انظر : التفسير الكبير ٣٠/ ٨٩ .

(٦) انظر : جامع البيان ٢٩/ ١٩ ، والدر ٦/ ٢٥٣ .

وقال أبو إسحاق : «لما كان الوقت الذي اعتدوا فيه في أول الصبح بسدفة غدوا إلى جنتهم ليصرموها»[١] . ﴿ وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ ﴾ واختلفوا في تفسير الحرد . والحرد[٢] في اللغة يكون على معان . الحرد : المنع ، من قولهم : حاردت السَّنة إذا قل مطرها ومنعت ريعها . وحاردت الناقة إذا منعت لبنها وقل اللبن[٣] . ومنه قول الأعشى :

فإذاَ ما حَارَدَتْ أَو بَكَأَتْ فُكَّ عن حاجِبِ أُخَرى طِينُها[٤]

والحرد : القصد ؛ ومنه قول الهذلي[٥] :

أقبل سيلٌ كان من[٦] أمرِ الله يحرِد حَرْد الجنَّة المُغَلَّهْ

وأنشد أبو عبيدة[٧] :

أَمَّا إِذا حَرَدَتْ حَرْدِي فمُجْرِيَةٌ ضَبْطَاءُ تَمْنَعُ غِيلاً غَيْرَ مَقْرُوبِ

---

(١) انظر : معاني القرآن ٥/ ٢٠٧ .

(٢) (س) : (والحرد) زيادة .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (حرد) ٤/ ٤١٥ ، واللسان (حرد) ١/ ٦٠٢ .

(٤) انظر : ديوان الأعشى ١٥١ ، واللسان (حرد) ١/ ٦٠٢ ، وفي ألفاظه اختلاف وتقديم وتأخير . والشاعر يصف باطنة ـ وهي إناء عظيمة ـ إذا قل ما فيها من لبن أو شُرِب أو انقطع فتحت أخرى .

(٥) انظر : مجاز القرآن ٢/ ٢٦٦ ، والخزانة ١٠/ ٣٥٦ ، ونسبه لقرب بن المستفيد ، وشواهد الكشاف ٢٥٤ ، وود أيضاً في زيادات ديوان حسان ٥٢٢ ، وإصلاح المنطق ٤٧ .

(٦) (س) : (في) .

(٧) البيت لمنقد الأسدي الملقب بالجميح ، وهو تشبيه للمرأة باللبؤة الضبطاء نزقاً وخفة . والذي أنشده هو ابن قتيبة وليس بأبي عبيدة . انظر : مجاز القرآن ٢/ ٢٦٥ ، وتفسير غريب القرآن ٤٨٠ ، وتهذيب اللغة (ضبط) ١١/ ٤٩٣ .

والحرد : الغضب . وهما لغتان الحَرْدُ[١] ، والحَرَدُ ؛ والتحريك أكثر . وأنشد أبو عبيدة[٢] :

أُسودُ شرىً لاقت أسودَ خَفيّةٍ تَساقَوا[٣] على حَرْدٍ دِماء الأساودِ

هذا الذي ذكرنا هو قول جميع أهل اللغة في تفسير الحرد[٤] . وأقوال المفسرين غير خارجة عن هذه المعاني . قال قتادة : «على جِدٍّ من أمرهم»[٥] .

وقال مقاتل : «جِدٍّ في أنفسهم»[٦] .

وقال الكلبي : «غدَوا جادِّين» . وهو قول أبي العالية والحسن ومجاهد[٧] في رواية أبي بشر . وهذا من معنى القصد ، وذلك أن القاصد إلى الشيء جاد بخلاف من لا يكون له قصد في أمر ، على أن الليث قد قال في كتابه : «على جد من أمرهم» . فقال الأزهري : «الصواب على حد ؛ أي على منع ، كما قال الفرَّاء» . ثم ذكر بإسناده عن الفرَّاء بالحاء[٨] .

---

(١) (ك) : (والحرد) .

(٢) (س) : (أبو عبيدة) زيادة . والبيت للأشهب بن رُميلة كما في اللسان ١/ ٦٠٢ ، وجامع البيان ٢٩/ ٢١ ، وتفسير غريب القرآن ٤٨٠ ، والخزانة ٦/ ٢٧ . والشَّرى موضع تُنسب إليه الأسد . يقال للشجعان : ما هم إلا أسود الشرى . وقيل : هو شرى الفرات وناحيته وبه غياض وآجام ومأسدةٌ . اللسان (شري) ٢/ ٣١٠ .

(٣) (ك) ، (س) : (تساء) .

(٤) انظر : مجاز القرآن ٢/ ٢٦٥ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٣/ ١٧٦ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٥/ ٢٠٧ .

(٥) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٠٩ ، وجامع البيان ٢٩/ ٢٠ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ١٦٣/ ب ، وزاد المسير ٨/ ٣٣٦ .

(٧) انظر : جامع البيان ٢٩/ ٢٠ ، والكشف والبيان ١٢/ ١٦٨/ أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٨٠ .

(٨) انظر : تهذيب اللغة (حرد) ٤/ ٤١٤ ، واللسان (حرد) ١/ ٦٠٤ .

ويدل على صحة معنى هذا القول أن أبا عبيدة والمبرِّد والقتيبي[١] قالوا في معنى الحرد هاهنا : «إنه المنع»[٢] ؛ أي غدوا من بيتهم إلى جنتهم على منع المساكين ما كانوا يعطونه .

وقال مجاهد وعكرمة : «على أمر أسسوه بينهم»[٣] . وهذا من معنى القصد أيضاً .

وقال الشعبي : «على حرد على المساكين» ؛ وهو قول[٤] سفيان[٥] ؛ قال[٦] : «على حنق وغضب» .

وروى[٧] معمر عن[٨] الحسن : «على فاقة»[٩] ؛ ومعناه من القلة ، من قولهم : حاردت الناقة ، والمعنى أنهم غدوا على قلة مالهم عند أنفسهم فقالوا : المال قليل لا يسع المساكين . وقال السدي : «الحرد اسم الجنة» . وذكر الأزهري هذا القول فقال[١٠] : «وقيل في بعض[١١] التفسير : إنَّ حرد كانت قريتهم»[١٢] .

---

(١) (س) : (والقتيبي) زيادة .

(٢) انظر : مجاز القرآن ٢/ ٢٦٥ ، وتفسير غريب القرآن ٤٧٩ ، وفتح القدير ٥/ ٢٧٢ .

(٣) انظر : معالم التنزيل ٤/ ٣٨٠ ، وزاد المسير ٨/ ٣٣٦ .

(٤) (س) : (وقال الشعبي : على حرد على المساكين وهو قول) زيادة .

(٥) (ك) : (وقال سفيان) .

(٦) (س) : (وقال) انظر : جامع البيان ٢٩/ ٢١ ، والكشف والبيان ١٢/ ١٦٨/ أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٨٠ .

(٧) (ك) : (وقال) .

(٨) (س) : (معمر عن) زيادة .

(٩) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٠٩ ، وجامع البيان ٢٩/ ٢١ .

(١٠) (س) : (وذكر الأزهري هذا القول فقال) زيادة .

(١١) (س) : (بعض) زيادة .

(١٢) انظر : تهذيب اللغة (حرد) ٤/ ٤١٤ .

قال ابن كثير : «وقال السدي : ﴿عَلَىٰ حَرۡدٖ﴾ ؛ أي كان اسم قريتهم حرد . فأبعد السدي في قوله هذا» . =

قولــه تعــالى : ﴿ قَدِرِينَ ﴾ قــال ابن عبــاس : «يريد قادرين عــلى جنتهم في أنفسهم»[١] ؛ وهو قول مقاتل وجميع المفسرين[٢] .

قال أبو إســحاق : «أي قادرين عند أنفسهم على قصد جنتهم لا يحول بينهم وبينهــا آفة»[٣] . وقال ابن قتيبة : «يقول : مَنعُوا وهم قادرون ؛ أي واجدون»[٤] . فالقدرة على هذا القول بمعنــى الجدة والقدرة على المال . وفي القول الأول معناه القدرة على الجنة .

٢٦. قوله تعــالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴾ . قال الفرَّاء : «غدوا على مالهم ليصرموه ، فلم يروا إلا ســواداً فقالوا : إنا لضالــون ، ما[٥] هذا بمالنا الذي نعرف . ثم قال بعضهم : بل هو مالنا ، حُرِمنا بما صنعنا بالأرامل والمساكين»[٦] .

= تفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٠٦ ، وقال الآلوسي عن تفسير السدي هذا : «ولا أظن ذلك مُراداً» ، روح المعاني ٢٩/ ٣١ .

(١) انظر : الكشف والبيان ١٢/ ١٦٨/ أ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٤٢ .

(٢) (س) : (وهو قول مقاتل وجميع المفسريــن) زيادة ، وقال النحاس : «أصح ما قيل في معناه على قصد كما قال مجاهد ، قد أسسوا ذلك بينهم ؛ أي عملوه على قصد وتأسيس ومؤامرة بينهم قادرين عليه عند أنفسهم» ، إعراب القرآن ٣/ ٤٨٧ ، وهو اختيار ابن جرير أيضاً . جامع البيان ٢٩/ ٢١ .

(٣) لم أجده عنه ، وهو معنى ما قاله المفسرون وأهل اللغة .

(٤) انظر : تفسير غريب القرآن ٤٨٠ .

(٥) (س) : (ما) زيادة .

(٦) انظر : معاني القرآن ٣/ ١٧٥ .

وقال أبو إسحاق : «لما رأوها محترقة قالوا : إنا قد ضللنا طريق جنتنا ؛ أي ليست هذه ، ثم علموا أنها عقوبة فقالوا :

٢٧-٢٨. ﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ ؛ أي حرمنا ثمر جنتنا بِمَنْعِنا المساكين»[١] . هذا معنى قول المفسرين . قال ابن عباس : «قالوا : إنا أخطأنا الطريق»[٢] . وذلك أنهم أنكروها ؛ لأنها احترقت .

ثم نظروا إلى أعلام فيها فعرفوا أنها جنتهم فقالوا : ﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾ يعني أعدلهم في قول جميع المفسرين . قال ابن عباس : «هو كقوله : ﴿ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ ﴾ [المائدة :٨٩] ، وكقوله : ﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة :١٤٣]» . ﴿ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ قالوا : هلا تستثنون فتقولون : إن شاء الله . وهو قول ابن عباس[٣] ومقاتل والكلبي ومجاهد[٤] .

قال أبو إسحاق : «ومعنى التسبيح هاهنا الاستثناء ، وهو أن يقولوا : إن شاء الله . فإن قيل : التسبيح أن تقول : سبحان الله . والجواب في ذلك أن كل ما عظَّمتَ الله به فهو تسبيح ؛ لأن التسبيح تنزيه الله عن السوء ، والاستثناء تعظيم الله والإقرار بأنه لا يقدر أحد أن يفعل فعلاً إلا بمشيئة الله عز وجل»[٥] .

---

(١) انظر : معاني القرآن ٥/ ٢٠٨ .

(٢) انظر : تنوير المقباس ٦/ ١٢٢ ، وتفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٠٩ ، عن قتادة . وكذا في جامع البيان ٢٩/ ٢١ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٠٦ .

(٣) (س) : (ابن عباس) و(الكلبي) زيادة .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٦/ ١٢٢ ، وتفسير مقاتل ١٦٣/ ب ، وزاد المسير ٨/ ٣٣٨ ، ونسبه لابن جريج والجمهور .

(٥) انظر : معاني القرآن ٥/ ٢٠٩ .

وقال أبو صالح : «كان استثناؤهم سبحان الله[١] . وإنما أنكر أوسطهم عليهم ترك الاستثناء[٢] في قوله : ﴿ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾ فحلفوا على صرام جنتهم من غير استثناء فلم يصرموا ، فأنكر عليهم الأوسط ترك الاستثناء في اليمين»[٣] .

٢٩. ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ ﴾ نزَّهوه عن أن يكون ظالماً في ما صنع ، وأقروا على أنفسهم بالظلم ، فقالوا : ﴿ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ بمعصيتنا ومنعنا المساكين .

وقال الكلبي : «﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ ﴾ يقولون : نستغفر ربنا مما صنعنا»[٤] ، ثم لام بعضهم بعضاً في ما فعلوا من العزم على منع المساكين .

٣٠. وقوله : ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴾ . يقول[٥] هذا لهذا : أنت أشرت علينا بهذا الرأي . ويقول هذا لهذا : أنت[٦] منعتنا أن نُدخِلَها المساكين . فكان هذا هو التلاوم بينهم ؛ قاله عطاء والكلبي[٧] .

وقال مقاتل : «يلوم بعضهم بعضاً في منع حقوق المساكين»[٨] .

٣١-٣٣. ثم نادَوا على أنفسهم بالويل فقالوا : ﴿ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴾ قال ابن عباس : «يريد طغينا في ما أعطانا الله ولم نأخذه بالشكر كما صنعت

---

(١) انظر : الكشف والبيان ١٢/ ١٦٨/ ب ، وزاد المسير ٨/ ٣٣٨ ، والبحر المحيط ٨/ ٣١٣ .
(٢) (ك) ، (س) : (الاستثناء عليهم في ذكر الله عنهم) . وانظر : الوسيط ٤/ ٣٣٨ .
(٣) انظر : جامع البيان ٢٩/ ٢٢ ، والتفسير الكبير ٣٠/ ٩٠ .
(٤) انظر : تنوير المقباس ٦/ ١٢٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٤٤ .
(٥) (ك) : (يقولون) .
(٦) (ك) : (أن) .
(٧) (س) : (قاله عطاء والكلبي) زيادة . وانظر : تنوير المقباس ٦/ ١٢٣ ، والتفسير الكبير ٣٠/ ٩٠ .
(٨) انظر : تفسير مقاتل ١٦٣/ ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٨٠ .

الآباء . فدعوا الله وتضرعوا»[١] . ثم اجتمع[٢] القوم وتعاقدوا إن أبدلنا الله[٣] بها خيراً منها لنصنعن كما صنعت الآباء . فدعوا الله وتضرعوا إليه وسألوه ذلك ، وعرف الله منهم الصدق فأبدلهم الله بها خيراً منها جنة يقال لها : الحيوان ، فيها عنب ليس يحمل البغل منها إلا عنقوداً ، فذلك قوله تعالى : ﴿ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴾[٤] ، وفي هذا إشارة إلى أنهم لما بُلُوا بذهاب مالهم تذكروا فرجعوا إلى الله تعالى بالرغبة . وهو وعظ لأهل مكة بالتذكير والرجوع إلى الله تعالى . فلما بلاهم بالجدب حين دعا عليهم الرسول ﷺ فقال : «اللهم اشدد وطأتك على مضر[٥] ، واجعلها سنين كسني يوسف»[٦] .

وقال عطاء عن ابن عباس : «هذا مثل لأهل مكة حين خرجوا إلى بدر وحلفوا ليقتُلُنَّ محمداً وأصحابه وليرجعن إلى مكة حتى يطوفوا بالبيت ويشربوا الخمر ويُضرَبَ القيان على رؤوسهم ، فأخلف الله ظنهم ، وقطع رجاهم فقُتِلوا وأسروا

---

(١) انظر : الكشف والبيان ١٢/ ١٦٩/ أ ، والوسيط ٤/ ٣٣٨ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٨٠ ، ومن نسبه منهم عزاه لابن كيسان .

(٢) (ك) : (احتج) .

(٣) (ك) ، (س) : (الله أبدلنا) .

(٤) أخرجه الثعلبي وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه .
انظر : الكشف والبيان ١٢/ ١٦٩/ أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٨١ ، وغرائب القرآن ٢٩/ ٢١ .

(٥) (ك) : (أهل مضر) .

(٦) متفق عليه . أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه ، وكتاب الجهاد ، باب الدعاء على المشركين ٤/ ٥٢ ، وكتاب التفسير ، سورة النساء ٦/ ٦١ ، ومسلم في كتاب المساجد ، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة ١/ ٤٦٦ ، وأحمد في المسند ٢/ ٢٣٩ .
ولفظ البخاري : «اللهم أنج سلمة بن هشام ، الله أنج الوليد بن الوليد ، اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة ، اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين ، اللهم اشدد وطأتك على مضر ، اللهم سنين كسني يوسف» .

وانهزموا[١] كأهل هذه الجنة لما انطلقوا إليها عازمين على الصرام وإحراز المال دون المساكين ، فلما انتهوا إليها وجدوها سوداء محترقة ، فخاب ظنهم وأُخلِف رجاؤهم . فذلك قوله : ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ﴾ يعني[٢] كما ذكر من إحراقها بالنار»[٣] . وتم الكلام هاهنا لتمام قصة أصحاب الجنة[٤] .

ثم ذكر عذاب الآخرة فقال : ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ يعني المشركين . قال ابن عباس : «يريد أن عذاب الآخرة أكبر من عذاب الدنيا وأعظم»[٥] .

٣٤-٣٨. ثم أخبر بما عنده للمتقين فقال : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ قال مقاتل : «لما نزلت هذه الآية قال كفار مكة للمسلمين : إنا نعطى في الآخرة أفضل مما تعطَون . فأنزل الله تعالى : ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[٦] ، ثم وبخهم فقال : ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ إذ حكمتم أن لكم من الخير ما للمسلمين ﴿ أَمْ لَكُمْ ﴾ بل ألكم ﴿ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴾ تقرؤون ﴿ إِنَّ لَكُمْ ﴾ في ذلك الكتاب ﴿ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴾ تختارون وتشتهون ؛ أي أعندكم كتاب من الله بهذا و﴿ إِنَّ لَكُمْ ﴾ في موضع نصب بـ ﴿ تَدْرُسُونَ ﴾ وكسر إن لمكان اللام في (لَمَا)[٧] .

---

(١) (س) : (وانهزموا) زيادة .
(٢) (س) : (يعني) زيادة .
(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٤٦ ، والبحر المحيط ٨/ ٣١٣ .
(٤) انظر : المكتفى في الوقف والابتداء ٥٨٢ .
(٥) انظر : تنوير المقباس ٦/ ١٢٣ .
(٦) انظر : تفسير مقاتل ١٦٣/ ب ، والتفسير الكبير ٣٠/ ٩١ ، وغرائب القرآن ٢٩/ ٢١ .
(٧) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٣/ ١٧٦ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٨٩ .

٣٩. ﴿ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ ﴾ . قال مقاتل : «يقول : ألكم عهود على الله بالغة ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ استوثقتم بها منه فلا تنقطع ؟ أعهدكم[١] إلى يوم القيامة بأن لكم الذي تقضون لأنفسكم من الخير ؟»[٢] .

وقال عطاء : «يريد ألكم عهد مني ألا أصيبكم بعذاب ولا عقوبة»[٣] .

ومعنى ﴿ بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ ؛ أي متناهية في التأكيد تنتهي إلى يوم القيامة . فتكون (إلى) من صلة (بالغة) . هذا قول الكسائي[٤] . ويجوز أن يكون (إلى) من صلة الأيمان ؛ أي أيمان إلى يوم القيامة . ويكون معنى (بالغة) مؤكدة ، كما تقول جيد بالغ وكل شيء مُتناهٍ في[٥] الصحة والجودة فهو بالغ[٦] . ويدل على هذا المعنى قراءة الحسن : (بالغةً) بالنصب[٧] على معنى حقّاً . كأنه قيل : أيمان علينا حقّاً بلغت حقيقة التأكيد ، هذا كله معنى قول الفرَّاء[٨] . وقال أبو إسحاق : «أي حلف لكم على ما تدعون في حكمكم»[٩] .

---

(١) (س) : (عهدكم) .
(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٦٣/ ب .
(٣) لم أجده .
(٤) انظر : التفسير الكبير ٣٠/ ٩٣ .
(٥) (ك) : (فهو في) ، والتصحيح من الوسيط .
(٦) انظر : الوسيط ٤/ ٣٣٨ ، والتفسير الكبير ٣٠/ ٩٣ ، وزاد المسير ٨/ ٣٣٩ .
(٧) قرأ الجمهور : ﴿ بَٰلِغَةٌ ﴾ . وقرأ الحسن ، وزيد بن علي : (بالغةً) بالنصب على الحال . انظر : معاني الفرَّاء ٣/ ١٧٦ ، والبحر المحيط ٨/ ٣١٥ ، والإتحاف ٤٢١ .
(٨) (س) : (هذا كله معنى قول الفرَّاء) زيادة . وانظر : معاني القرآن للفرَّاء ٣/ ١٧٦ .
(٩) انظر : معاني القرآن ٥/ ٢٠٩ .

٤٠. ثم قال لرسوله ﷺ : ﴿ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴾ . أيُّهم كفيل لهم بأن لهم في الآخرة ما للمسلمين . وذكرنا معنى الزعيم عند قوله : ﴿ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴾[١] .

٤١. قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ ﴾ يعني بل ألهم شركاء . يعني ما كانوا يجعلونهم شركاء لله ؛ وهذا كقوله : ﴿ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ﴾ [الروم : ٤٠] ، فأضاف الشركاء إليهم ؛ لأنهم جعلوها شركاء لله فأضافها إليهم بفعلهم . والتأويل : أم عندهم لله شركاء فليأتوا بهؤلاء الشركاء ﴿ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ في أنها شركاء لله .

٤٢. قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ ظرف لهذا الأمر ؛ أي فليأتوا بها في ذلك اليوم[٢] . وذلك أنها تبطل وتزهق فلا تنفعهم بشيء . يقول الله : ﴿ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ في أنها شركاء فليأتوا بها يوم القيامة لتنفعهم وتشفع لهم . وهذا الذي ذكرنا معنى ما ذكره صاحب النظم[٣] .

وأما معنى قوله : ﴿ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ فروى عكرمة عن ابن عباس قال : «عن شِدَّة . ألم تسمع إلى قول الشاعر[٤] :

وقامتِ الحربُ بنا على ساقْ» .

---

(١) من آية (٧٢) من سورة يوسف . وانظر : تفسير غريب القرآن ٤٨٠ ، ومفردات الراغب (زعم) ٢١٣ .

(٢) انظر : معالم التنزيل ٤/ ٣٨١ ، وغرائب القرآن ٢٩/ ٢٢ .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٤٨ .

(٤) أخرجه الطستي في مسائل عن ابن عباس . انظر : الدر ٦/ ٢٥٥ ، وهو مندرج في الأثر الآتي . ولم أجد للبيت قائلاً .

قال : «وسـئل ابن عباس عن هذه الآية ، فقـال : إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر فإنه ديوان العرب ، أما سمعتم قول الشاعر :

سَـنَّ لَنا قومُك ضربَ الأَعْناق وقامِـت الحـربُ بنا عَلى سـاق

ثم قال[١] : هو يوم كرب وشدة»[٢] .

وروى عطاء عنه قال : «يريد شدة في الآخرة» .

وروى إبراهيم عنه أيضاً : «عن شدة الأمر»[٣] .

قال[٤] : «وقال ابن عباس : يكشف عن أمر عظيم»[٥] .

---

(١) (ك) : (قال) زيادة .

(٢) أخرجه الحاكم في المسـتدرك ٢/ ٤٩٩ ، وابن جرير في جامعه ٢٩/ ٢٤ ، وقال الحاكم : «هذا حديث صحيح الإسـناد» ، وفي الدر ٦/ ٢٥٤ نسبه أيضاً إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم . وحسَّن إسناده الحافظ في فتح الباري ١٣/ ٤٢٨ ، وانظر : الأسماء والصفات للبيهقي وما ذكره محققه وقد بين ضعف إسناده . فليراجع ٢/ ١٨٣ .

(٣) (س) : من قوله (وروى عطاء) إلى هنا زيادة . وانظر : معالم التنزيل ٤/ ٣٨١ عن سعيد بن جبير .

(٤) (ك) : (وقال ابن عباس : يريد شدة في الآخرة . قال) .

(٥) انظـر : جامع البيان ٢٩/ ٢٤ ، والدر ٦/ ٢٥٤ ، ونسـب تخريجه إلى الفريابي ، والبيهقي في الأسـماء والصفات ، وابن منده ، وسعيد بن منصور من طريق إبراهيم النخعي ، ولم أجده عند البيهقي .

وروى مجاهد عنه قال : «هو أشد ساعة في القيامة» . فهذا ما روي عن ابن عباس في هذه الآية[١] . ونحو هذا[٢] قال سعيد بن جبير ومجاهد[٣] وقتادة . قالوا : «عن شدة الأمر وبلاء عظيم»[٤] . وهذا قول جميع أصحاب اللغة[٥] .

قال أبو عبيدة : «إذا اشتد الأمر والحرب قيل : قد كشف الأمر عن ساقه» ، وأنشد لقيس بن زهير[٦] فقال :

فَإِذَا شَمَّرَتْ[٧] لَكَ عَنْ سَاقِهَا فَوَيْهاً رَبِيعُ وَلاَ تَسْأَمِ[٨]

(١) (س) : (فهذا ما روي عن ابن عباس في هذه الآية) زيادة . وقال البيهقي بعد ذكره الروايات : «هذا ما روينا عن ابن عباس في المعنى يتقاربان ، وقد روي عن ابن عباس بهذا اللفظ ، وروي بمعناه» ، الأسماء والصفات ٢/ ١٨٤ .

(٢) (ك) : (ونحوه) .

(٣) س (ومجاهد) زيادة .

(٤) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣١٠ ، وجامع البيان ٢٩/ ٢٤ ، والدر ٦/ ٢٥٥ .

(٥) (س) : (وهذا قول جميع أصحاب اللغة) زيادة .

(٦) (س) : (القيس بن زهير) زيادة . وهو قيس بن زهير بن جذيمة ، يكنى أبا هند ، شاعر وفارس جاهلي ، كان سيد عبس ، وله أخبار مشهورة يوم داحس والغبراء . انظر : الأغاني ١٧/ ١٨٧ ، والمؤتلف والمختلف ٢٥٥ ، والخزانة ٣/ ٥٣٦ ، وشرح شواهد المغني ١١٣ ، ومعجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين ٢٨٧ .

(٧) (ك) : (شمر) .

(٨) انظر : مجاز القرآن ٢/ ٢٦٦ ، وورد البيت منسوباً في اللسان (ويه) ٣/ ٩٩٨ . وقوله : فويهاً ؛ أصلها (ويه) من أدوات الإغراء فَنَوَّنَها فقال : فويهاً .

وروى الفرَّاء بإسناده[١] عن ابن عباس[٢] أنه قال : «يريد يوم القيامة والساعة لشدتها» . قال الفرَّاء : أنشدني بعض العرب لَجدِّ[٣] طرفة[٤] :

كَشَفَتْ لهم عن ساقِها وبَدا مِنَ الشَّرِّ الصُّراحُ[٥]

وقال أبو إسحاق : «معنى ﴿ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ يكشف عن الأمر الشديد» . وأنشد :

قد شَمَّرَتْ عن ساقِها فَشُدُّوا[٦] وجَدَّت الحربُ بِكُم[٧] فَجُدُّوا

والقوس فيها وتر عرِدٌّ[٨]

---

(١) (س) : (والفرَّاء بإسناده) زيادة .

(٢) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ٢/ ١٨٥ ، بإسناد صحيح . وصححه الحافظ في الفتح ١٣/ ٤٢٨ .

(٣) (ك) : (وأنشد الفرَّاء لجد) .

(٤) (ك) ، (س) : (أبي طرفة) ، والصواب ما أثبته . وهو سعد بن مالك ، جد طرفة بن العبد . شاعر جاهلي ، وأحد سادات بكر بن وائل وفرسانها .
انظر : طبقات فحول الشعراء ٤٩ ، والمؤتلف والمختلف ١٩٨ ، وشرح الحماسة للتبريزي ٢/ ٧٣ ، والحماسة لأبي تمام ١/ ٢٦٥ ، ومعجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين ١٤٨ .

(٥) والبيت ورد في معاني القرآن للفرَّاء ٣/ ١٧٧ ، والخصائص ٣/ ٢٥٢ ، واللسان (سوق) ٢/ ٢٤٣ ، والحماسة لأبي تمام ١/ ٢٦٦ ، والمحتسب ٢/ ٣٢٦ .
والصراح والصراح : الخالص من كل شيء .

(٦) (ك) : (وشدوا) .

(٧) (ك) : (الحرب بكم) ساقطة .

(٨) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٥/ ٢١٠ .
والبيت ورد في خطبة الحجاج أول ما قدم أميراً على العراق . والأبيات لحنظلة بن ثعلبة . انظر : الكامل ١/ ٢٢٤ ، واللسان (عرد) ٢/ ٨٢٧ ، والعقد الفريد ٤/ ١٢١ ، وشرح شواهد الشافية ٣٠٠ .
والعُرُدُّ : هو الشديد في كل شيء . يقال : إنه لقوي شديد عرد . اللسان (عرد) ٢/ ٧٢٨ .

وقال ابن قتيبة : «أصل هذا أن الرجل إذا وقع[١] في أمر عظيم يحتاج إلى معاناته والجد[٢] شمر عن ساقه . فاستعيرت الساق والكشف عنها في موضع الشدة[٣] . قال دريد يرثي رجلاً :

كَمِيشُ الإزارِ خارجٌ نِصْفُ ساقِه ... صَبورٌ على الجَلَّاءِ طَلاّعُ أَنْجُدِ[٤]

وقال الهذلي :

وكنتُ إذا جاري دَعا لِمَضوفَةٍ ... أُشَمِّرُ حتَّى يَنْصُفَ الساقَ مِئْزَري[٥]

وأنشد أيضاً فقال[٦] :

في سَنةٍ قد كشَفَتْ عن ساقِها ... حمراءَ تَبْرِي اللَّحْمَ عن عُرَاقِها

---

(١) (ك) : (وقع) ساقطة .

(٢) (س) : (والجد) زيادة .

(٣) انظر : تأويل المشكل ١٣٧ .

(٤) البيت من قصيدة قالها في أخيه عارضة بن الصمة . ويروى :

بَعيدٌ عن الآفاتِ طَلاَّعُ أَنجُدِ

انظر : ديوانه ٤٩ ، والحماسة لأبي تمام ١/ ٣٩٨ ، والأصمعيات ١٠٨ ، وجمهرة أشعار العرب ٢٢٣ ، وتهذيب اللغة (سوق) ٩/ ٢٣١ ، والخزانة ١/ ٢٦٠ . وقوله : (طلاع أنجد) ؛ أي إنه يعلو الأمور فيقهرها بمعرفته وتجاربه . والأنجد : جمع النجد ، وهو الطريق في الجبل وكذلك الثنية . اللسان (طلع) ٢/ ٦٠٥ ، والقاموس المحيط : (كمش ، طلع) .

(٥) انظر : ديوان الهذليين ٣/ ٩٢ ، والمحتسب ١/ ٢١٤ ، والخزانة ٧/ ٤١٧ ، واللسان (ضيف) ٢/ ٥٦١ .

(٦) ورد في البيت غير منسوب في تفسير غريب القرآن ٤٨١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٤٨ ، والبحر المحيط ٨/ ٣١٦ ، والدر المصون ١/ ٤١٧ .

وزاد غيره بياناً فقال : «تأويل الآية : يوم يشتد الأمر كما يشتد ما يحتاج فيه إلى أن يكشف عن ساق . وقد كثر هذا في كلام العرب حتى صار كالمثل في شدة الأمر»[١] .

وقوله تعالى : ﴿ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ قال مقاتل : «وذلك أنه تدمج أصلاب الكفار يومئذ فيكون عظماً واحداً مثل صياصي[٢] البقر ، لأنهم لم يسجدوا لله في الدنيا» .

وهذا قول جميع المفسرين[٣] . قالوا : «إذا كان ذلك ، سجد[٤] الخلق كلهم لله سجدة واحدة . ويبقى الكفار والمنافقون يريدون أن يسجدوا[٥] فلا يستطيعون ؛ لأن أصلابهم أيبس فلا تلين للسجود» .

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله : «والصحابة متنازعون في تفسير الآية ، هل المراد الكشف عن الشدة ، أو المراد بها أن الرب تعالى يكشف عن ساقه ، ولا يحفظ عن الصحابة والتابعين نزاع في ما يذكر من الصفات أم لا في غير هذا الموضع ، وليس في ظاهر القرآن ما يدل على أن ذلك صفة الله ؛ لأنه سبحانه لم يضف الساق إليه ، وإنما ذكره مجرداً عن الإضافة منكراً ، والذين أثبتوا ذلك صفة كاليدين والإصبع لم يأخذوا ذلك من ظاهر القرآن ، وإنما أثبتوه بحديث أبي سعيد الخدري المتفق على صحته . وهو حديث الشفاعة الطويل وفيه : فيكشف الرب عن ساقه فيخرون له سجداً : ومن حمل الآية على ذلك قال : قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ ﴾ مطابق لقوله ﷺ . . . نكيره للتعظيم والتفخيم كأنه قال : يكشف عن ساق عظيمة جلت عظمتها وتعالى شأنها . . . : وحمل الآية على الشدة لا يصح بوجه ، فإن لغة القوم في مثل ذلك أن يقال : كشفت الشدة من القوم لا كشف عنها كما قاله الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾ [الزخرف :٥٠] . . فالعذاب ، والشدة هو المكشوف لا المكشوف عنه» . الصواعق المرسلة ١/ ٢٥٢ ، ٢٥٣ . وانظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/ ١٢٧ ، والأسماء والصفات للبيهقي ٢/ ١٨١ـ١٨٣ .

(٢) صياصي البقر : أي قرونها واحدتها صيصية بالتخفيف . انظر : النهاية (صيص) ٣/ ٩ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٦٤/ أ ، وجامع البيان ٢٩/ ٢٤ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٨٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٠٨ .

(٤) (ك) ، (س) : (سجدوا) .

(٥) (ك) : (يسجد) .

قال ابن مسعود : «وأما المؤمنون فيخرون سجداً ، وأما المنافقون فتكون ظهورهم طبقاً كأن فيها السفافيد»[١] .

٤٣. قوله : ﴿ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ ﴾ قال ابن عباس ومقاتل : «يعني حين أيقنوا بالعذاب وعاينوا النار»[٢] . وهي حال من قوله : ﴿ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴾ . ﴿ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٌ ﴾ قال ابن عباس : «يلحقهم ذل الندامة والحسرة»[٣] .

قوله : ﴿ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ﴾ يعني في الدنيا حين كانوا يُدعون إلى الصلاة المكتوبة ويؤمرون بها وهم معافَون[٤] ليس في أصلابهم مثل سفافيد الحديد . ومعنى قوله : ﴿ يُدۡعَوۡنَ ﴾ ؛ أي بالأذان والإقامة . وهذا الذي ذكرنا قول ابن عباس ومقاتل وإبراهيم التيمي[٥] . قال سعيد بن جبير : «كانوا يسمعون حيَّ على الفلاح فلا يجيبون . وفي هذا وعيد لمن قعد عن الجماعة ولم يجب الأذان إلى إقامة الصلاة في الجماعة»[٦] .

---

(١) أخرجه ابن جرير وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا . وقال القرطبي : «قلت : معنى حديث أبي موسى وابن مسعود ثابت في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري وغيره» . انظر : صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية ١/ ١٦٨ ، ١٦٩ .
قلت : ورواه البخاري في كتاب التفسير ، سورة القلم ٦/ ١٩٨ من حديث أبي سعيد أيضاً . انظر : جامع البيان ٢٩/ ٢٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٥٠ .
والسفافيد : جمع سفود . وهو حديدة ذات شُعب معقفة ، معروفة ، يشوى بها اللحم . اللسان (سفد) .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٦٤/ أ ، وجامع البيان ٢٩/ ٢٧ .

(٣) انظر : معالم التنزيل ٤/ ٣٨٣ .

(٤) (ك) : (معاقبون) .

(٥) (س) : (إبراهيم التيمي) زيادة . وانظر : تفسير مقاتل ١٦٤/ أ ، وجامع البيان ٢٩/ ٢٧ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٨٣ .

(٦) انظر : جامع البيان ٢٩/ ٢٧ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٨٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٥١ .

٤٤. قولــه تعــالى : ﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ﴾ يريد القــرآن . قاله ابن عباس . وقال مقاتــل : «يقول لمحمد : خلِّ بيني وبين من يكذب بهذا القرآن فأنا أنفرد بهلكتهم»[١] .

قال أبو إسحاق : «معناه لا تشغل قلبك به ، كله إليَّ فإني أكفيك أمره»[٢] .

قولــه تعالى : ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ؛ أي نأخذهم قليلاً قليلاً فلا نباغتهم . قال ابن عباس : «أَمكُر بهم مــن حيث لا يعلمون»[٣] . وهذا مفسر في سورة الأعراف مع الآية التي بعدها[٤] .

قوله تعالى : ﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ ﴾ مع الآية التي بعدها مفسر في سورة الطور[٥] .

٤٨. قوله تعالى : ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ . قال مقاتل : «اصبر على الأذى لقضاء ربك الذي هــو آت»[٦] . ﴿ وَلَا تَكُن ﴾ في الضجر والعجلة ﴿ كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ ﴾ يعني يونس بن متى . قال الكلبي ومقاتل : «يقول : لا تضجر كما ضجر ، ولا تعجل كما عجل ، ولا تغضب كما غضب»[٧] . ثم أخبر عــن عقوبة يونس حين لم يصبر وعجل بقوله : ﴿ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ ، والعامل في (إذ) معنى قوله : ﴿ كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ ﴾[٨] يريد : لا تكن كمن صحب الحوت إذ نادى ، وليس العامل فيه (تكن) لأنه ليس المعنى : لا

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٦٤/ أ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٥١ ، والبحر المحيط ٨/ ٣١٧ .
(٢) انظر : معاني القرآن ٥/ ٢١١ .
(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٥١ .
(٤) عند تفسيره الآيتين (١٨٢ ، ١٨٣) من سورة الأعراف .
(٥) عند تفسيره الآيتين (٤٠ ، ٤١) من سورة الطور .
(٦) انظر : تفسير مقاتل ١٦٤/ أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٨٤ ، والتفسير الكبير ٣٠/ ٩٨ .
(٧) انظر : تفسير مقاتل ١٦٤/ أ ، وتفسير عبدالرزاق ٢/ ٣١٠ ، وجامع البيان ٢٩/ ٢٩ .
(٨) انظر : البحر المحيط ٨/ ٣١٧ .

تكن مثله إذ نادى ربه من بطن الحوت بقوله : ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء :٨٧] . وقوله : ﴿ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ ؛ أي مملوء غمّاً وكرباً[١] . ومثله : ﴿ كَظِيمٌ ﴾ ، وقد مر[٢] .

٤٩ـ٥٠. قوله تعالى : ﴿ لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «رحمة من ربه»[٣] ، وهو أنْ رحمه وتاب عليه[٤] ، ﴿ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ ﴾ لألقي من بطن الحوت على وجه الأرض . وذكرنا تفسير هذا عند قوله : ﴿ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ ﴾[٥] ، وقوله : ﴿ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴾ . قال ابن عباس والحسن[٦] : «مذنب»[٧] .

وقال الكلبي : «(مذموم) ملوم مبعد من كل خير»[٨] .

وقال مقاتل : «يذم ويلام»[٩] . ولكن ربه منَّ عليه فنبذ بالعراء وهو سقيم ، وليس بمذموم للنعمة التي تداركه .

---

(١) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٥/ ٢١١ .

(٢) عند تفسيره الآية (٨٤) من سورة يوسف . قال : «الكظيم : الساكت على غيظه ، يقال : ما يكظم فلان على حرة إذا كان لا يحتمل شيئاً ، وفلان كظيم ومكظوم إذا كان ممتلئاً حزناً ممسكاً عليه» .
وانظر : اللسان (كظم) ٣/ ٢٦٥ ، والمفردات (كظم) ٤٣٢ .

(٣) (ك) : (ربك) .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٦/ ١٢٦ ، وتفسير مقاتل ١٦٤/ ب ، وجامع البيان ٢٩/ ٢٩ ، والكشف والبيان ١٢/ ١٧٣/ أ .

(٥) عند تفسيره الآية (١٤٥) سورة الصافات . قال : «العراء : المكان الخالي . قال أبو عبيدة : وإنما قيل له : عراء ؛ لأنه لا شجر فيه ولا شيء يغطيه . وقال الليث : العراء : الأرض الفضاء التي لا تستر بشيء» .

(٦) (س) : (والحسن) زيادة .

(٧) انظر : تنوير المقباس ٦/ ١٢٦ ، وذكر ابن كثير في تفسيره ٤/ ٤٠٨ عن ابن عباس ومجاهد والسدي قوله : (وهو مغموم) .

(٨) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٥٤ .

(٩) انظر : تفسير مقاتل ١٦٤/ ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٨٤ .

قال أبو إسحاق : «المعنى أنه قد نبذ بالعراء وهو غير مذموم ؛ لأن النعمة قد شملته»[١] . ويدل على ذلك قوله : ﴿ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ ﴾ ، قال ابن عباس : «فاستخلصه واصطفاه الله»[٢] ، ﴿ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ قال ابن عباس : «رد إليه الوحي وشفعه في قومه وفي نفسه»[٣] .

٥١ـ٥٢. قوله تعالى : ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ قال الأخفش : «(إن) مخففة من الثقيلة كما تقول : إن كان عبدُالله لظريفاً . فمعناه[٤] : إن عبدالله لظريف قبل اليوم»[٥] .

وقوله : ﴿ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ ﴾ من (أزلقه عن موضعه) إذا رماه ونحاه ، وهذه[٦] قراءة العامة . وقرأ نافع بفتح الياء[٧] . يقال : زلق هو وزلقته . مثل : شترت عينه وشترتها أنا[٨] وحزن وحزنته[٩] ؛ والأول أكثر وأوسع ؛ لأنه يقال : زلق من موضعه وأزلقته أنا فينقل الفعل بالهمزة . والمفسرون بعضهم على أن هذه الآية نزلت في قصد الكفار أن يصيبوا رسول الله ﷺ بالعين ، وكانوا ينظرون إليه

---

(١) انظر : معاني القرآن ٥/ ٢١١ .

(٢) انظر : تنوير المقباس ٦/ ١٢٦ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٨٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٥٤ .

(٣) انظر : زاد المسير ٨/ ٣٤٣ ، والتفسير الكبير ٣٠/ ٩٩ .

(٤) (ك) : (معناه) .

(٥) انظر : معاني القرآن ٢/ ٧١٢ .

(٦) (ك) : (بهذه) .

(٧) قرأ الجمهور : ﴿ لَيُزْلِقُونَكَ ﴾ بضم الياء ، وقرأ نافع وأبو جعفر : (لَيَزْلِقُونَكَ) بفتح الياء .
وهما لغتان ، يقال : أزلق يزلق ، وزلق يزلق ، والمعنى واحد .
انظر : حجة القراءات ٧١٨ ، والنشر ٢/ ٣٨٩ ، والإتحاف ٤٢٢ .

(٨) الشتر : انقلاب في جفن العين قلما يكون خلقة . والشتر مخففة : فعلك بها . اللسان (شتر) ٢/ ٢٦٨ .

(٩) لغتان : تقول : حزنني يحزنني حزناً فأنا محزون . ويقولون : أحزنني فأنا محزن وهو محزن . اللسان (حزن) ١/ ٦٢٧ .

نظراً شـــديداً ويقولون[١] : ما رأينا مثله ولا مثل حججه ، يريدون أن يصيبوه[٢] بالعين . وهذا قول الكلبي ومن تابعه[٣] .

قالوا : «ذكر الله شـــدة نظرهم إليه للإصابة بالعين» . وأما أهل التحقيق من المفسرين وأصحاب العربيـــة فإنهم ذهبوا إلى غير هذا . قـــال الفرَّاء : «إن كادوا ليزلقونـــك ؛ أي ليرمونك ويزيلونك[٤] عن موضعك بأبصارهم ، كما يقال : كاد يصرعني لشدة نظره إليَّ . وهو بين من كلام العرب كثير»[٥] .

وقـــال المبرِّد : «أي يُحِدُّون النظر إليك حتى يكاد يزلقك نظرهم . وهذا كلام معروف عند العرب» .

وقال أبو إســـحاق : «مذهب أهل اللغة والتأويل أنهم من شـــدة إبغاضهم وعداوتهم يكادون بنظرهم نظر البغضاء أن يصرعوك . وهذا مستعمل في الكلام . يقول القائل : نظر إلى فلان نظراً يكاد يصرعني[٦] ونظراً يكاد يأكلني . وتأويله أنه نظر إليَّ نظراً لو أمكنه معه[٧] أكلي ، أو أن يصرعني لفعل . وهذا واضح»[٨] .

وقال ابن قتيبـــة : «ليس يريد الله –عز وجل– في هذا الموضع أنهم يصيبونك بأعينهم كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه ، وإنما أراد أنهم ينظرون إليك إذا قرأت

---

(١) (ك) : (قال ويقولون) .

(٢) (ك) : (يصيبونه) .

(٣) وهو قول قتادة ، والنضر بن شميل ، والأخفش ، والسدي ، وغيرهم .
انظر : جامع البيان ٢٩/ ٣٠ ، والكشف والبيان ١٢/ ١٧٣/ ب ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٠٩ ، ورجحه .

(٤) (ك) : (ويزلقونك) .

(٥) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٣/ ١٧٩ .

(٦) (س) : من قوله : (لشدة نظره إليَّ وهو بين . . .) إلى هنا زيادة .

(٧) (ك) : (معه) ، (س) : (معي) .

(٨) انظر : معاني القرآن ٥/ ٢١٢ .

القرآن نظراً شديداً بالعداوة والبغضاء ، يكاد يزلقك ؛ أي يسقطك كما قال الشاعر[١] :

يَتَقَارضُون إذا التَقَوْا في مَوْطنٍ نَظَراً يُزيلُ مَواطِنَ الأَقْدَامِ»

وقال أبو علي : «معنى ﴿ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ ﴾ أنهم ينظرون إليك نظر البغضاء كما قال : ينظر الأعداء المنابذون» ، وأنشد البيت الذي أنشده ابن قتيبة[٢] . والدليل على صحة ما ذهب إليه هؤلاء أن الله تعالى قرن هذا النظر بسماع القرآن . وهو قوله : ﴿ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ ﴾ ، وهم كانوا يكرهون ذلك أشد الكراهية فيحدون إليه النظر بالبغضاء ، والإصابة بالعين إنما تكون مع الإعجاب والاستحسان ، ولا تكن مع الكراهية والبغض ، ويدل على ما ذكرناه قوله : ﴿ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴾ ؛ أي ينسبونه إلى الجنون إذا سمعوه يقرأ القرآن[٣] ، فقال الله : ﴿ وَمَا هُوَ ﴾ يعني القرآن ﴿ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ قال ابن عباس : «موعظة للمؤمنين»[٤] . والله تعالى أعلم .

---

(١) البيت ورد غير منسوب في تفسير غريب القرآن ٤٨٢ ، ومشكل القرآن ١٧٠ ، ١٧١ ، والبيان والتبيين ١/ ١١ ، والكشاف ٤/ ٤٧٨ ، وزاد المسير ٨/ ٣٤٤ ، واللسان (قرض) ٣/ ٦٠ ، والبحر المحيط ٨/ ٣١٧ . ومعنى (يتقارضون) ؛ أي ينظر بعضهم إلى بعض نظر عداوة وبغضاء .

(٢) انظر : الحجة للقراء السبعة ٦/ ٣١٢ ، ٣١٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٥٦ .

(٣) نسبه الرازي إلى الجبائي ثم قال : «واعلم أن هذا السؤال ضعيف ، لأنهم وإن كانوا يبغضونه من حيث الدين لعلهم كانوا يستحسنون فصاحته وإيراده للدلائل» ، انظر : التفسير الكبير ٣٠/ ١٠٠ ، ونسبه القرطبي في جامعه ١٨/ ٢٥٥ للقشيري .

قلت : بل حال المشركين في مكة مع القرآن والنبي ﷺ يدل على غاية الاستحسان ونهاية التعجب ولم ينسبوه ﷺ إلى السحر والكهانة وغير ذلك إلا لشدة تأثيره على السامع ، وقد بذلوا كل ما في وسعهم لصد القادمين إلى مكة من ملاقاة النبي ﷺ أو سماعه وما ذاك إلا خشية دخول الناس في هذا الدين وصدق الله إذ يقول : ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل :١٤] ، وليس في الآية ما يمنع الجمع بين نظر العداوة والبغضاء ، ونظر الحسد والإصابة بالعين ، والله أعلم .

(٤) انظر : معالم التنزيل ٤/ ٣٨٥ .